إسماعيلية اليمن في المهجر: الأسباب والآثار

الدكتور/ عمرو بن معد يكرب حسين الهمداني (*)

٢٠٢٠م

* رئيس المجلس العلمي للدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبهم أجمعين..... أما بعد:

الإسماعيليون[1] في اليمن وفي مختلف بلدان المهجر مكوّن مهم وكبير في بنية المجتمعات الكائنة بها، من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وهم جزء أصيل من موروث اليمن الثقافي وعمقه التاريخي، وحتى علاقاته الخارجية، ويعانون في الوقت نفسه من فرز طائفي واضطهاد فكري مُنْذُ سقوط دولتهم الثانية الصليحية على أيدي الأيوبيين. وعلى مدى تسعة قرون وهم يعانون العزلة والترهيب يصل حد التكفير وإخراجهم من ملة الإسلام، بل بلغ الاضطهاد حدود الإبادة الجماعية في بعض مراحل التاريخ.

على مدى التاريخ الإسلامي، لم نرَ تشويهاً وتحاملاً وتحيزاً ضد فكر ما مثل ما رأينا وشهدنا ضد الفكر الإسماعيلي الفاطمي، لا من حيث التاريخ ولا العقيدة ولا الإنجازات العلمية والفكرية.

---

(١) الإسماعيلية: يسمون بذلك نسبة إلى إمامهم إسماعيل الابن الأكبر للإمام جعفر الصادق، ويسمي الفاطميون أنفسهم باسم "أهل الدعوة" أو "المسلمين المؤمنين" ودعوتهم بـ"دعوة الحق" و"الدعوة الهادية". وهم لا يعترفون بالأسماء والألقاب التي نسبت إليهم مثل الفاطمية والإسماعيلية والباطنية والسبعية وغيرها، ولا توجد هذه الألقاب في كتبهم. وقد نسب إلى نفسه الشيخ أبو حاتم الرازي- وهو من كبار علماء الدعوة- في كتاب الزينة، كلمة أهل السنة والجماعة. وقال المؤيد في الدين، باب أبواب الإمام المستنصر (د المؤيد ٨٨):

يـــــا سائلاً تسألني عنــي.. اعلم بأني رجل سني

أحب أصحاب نبي الهــدى.. ديني على حبهم مبني

وقد أطلقت كلمة "الإسماعيلية" على أهل الدعوة عامة في هذا البحث لنسبتهم إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق، كما تطلق كلمة الزيدية على أتباع الإمام زيد بن علي، رحمة الله عليه.

أدى الدور السلبي الذي اتخذه الأئمة الزيديون ضد الإسماعيليين إلى تحويل أتباع المذهب إلى مجرد مواطنين من الدرجة الدنيا، وإباحة دمائهم وأموالهم وأعراضهم في أرجاء السعيدة.

وهو ذاته الدور الذي لعبه الفكر الوهابي في نظام آل سعود، الذي أدى أيضاً إلى تحويل الإسماعيليين في نجران الحدودية- المحتلة- إلى مواطنين سعوديين من الدرجة الثانية، وتعرضهم الدائم للانتهاكات الإنسانية.

تتمثل أهداف الدراسة في الوقوف على الأسباب والتأثيرات المختلفة للهجرات الإسماعيلية إلى بلدان المهجر، من النواحي السياسية، والاجتماعية، والثقافية والاقتصادية، التي لعبت الطائفة الإسماعيلية دوراً كبيراً فيها.

وتكمن أهمية الدراسة في كون الوقوف على قضية مهمة كالهجرات اليمانية، أسبابها وتأثيرها، تأتي ضمن أولويات التوثيق التاريخي لليمن وكشف الغموض عن حقائق تلك الهجرات والآثار التي كانت نتاجاً لهذه الظاهرة الاجتماعية.

كما نرى الآثار العظيمة التي خلفتها الطائفة الإسماعيلية من خلال أنشطتهم في محيطهم الجغرافي، من خلال نشرهم للعلوم الحداثية والثقافة الإسلامية الموضوعية فيها، ومن ذلك بلاد الهند والسند، وعدد من دول إفريقيا كمصر وكينيا وغيرهما، وامتدت تلك الآثار إلى بلدان مختلفة في أوروبا وأمريكا، كبريطانيا، وفرنسا، والولايات المتحدة الأمريكية.

وفي إطار ذلك حرصنا في إعداد الدراسة على اتِّباع الترتيب الزمني للوقوف على المراحل المختلفة للهجرات اليمانية الإسماعيلية، والاعتماد على المنهج التاريخي في القسم التمهيدي.

وسلَّطت الدراسة الضوء على الطائفة الإسماعيلية اليمانية خلال فترتين زمنيتين، الأولى تاريخية مُنْذُ نشأة الدولة الفاطمية الأولى وحتى الانهيار، والفترة الثانية مُنْذُ العام ١١٠٠ وحتى ١٤٤٠هـ.

ومن الناحية الجغرافية ركزت الدراسة على مناطق انتشار أتباع الطائفة الإسماعيلية ومناطق هجراتهم في اليمن، والهند، وباكستان، وبريطانيا، وأمريكا، وكينيا، ومصر، والمغرب.

وقام الباحث بتقسيم الدراسة إلى قسمين، تطرقت الدراسة في قسمها الأول إلى الخلفية التاريخية لنشأة الإسماعيلية ومراحل تطورها وانكماشها وتَقسُّمها وتشرذمها، وصولاً إلى تمركز الإسماعيلية في نجران، وفي الهند وباكستان وكينيا (نيروبي)، وعدد من البلدان الأخرى، ومراحل بناء الدولة، واحتوى القسم الأول على الموضوعات التالية: حركة الشيعة في اليمن قبل ظهور منصور اليمن، وسفارة الإمام علي إلى اليمن، والدولة الفاطمية الأولى في عهد منصور اليمن، والدولة الصليحية النشأة وسقوط الدولة، وإسماعيلية نجران وبناء الدولة، وإسماعيلية الهند والسند.

وفي القسم الثاني من الدراسة، تم التطرق إلى هجرات الإسماعيلية من حيث الأسباب المؤدية إلى تلك الهجرات، وأخيراً تم الوقوف على الآثار المترتبة على تلك الهجرات والتأثيرات التي كانت للطائفة الإسماعيلية في المحيط الاجتماعي لبلدان المهجر.

أولاً: التعريف بالإسماعيلية (الفاطمية) في اليمن والجزيرة العربية (خلفية تاريخية)

حركة الشيعة في اليمن قبل ظهور منصور اليمن:

يعد ما حدث في أيام الخليفة عثمان من أهم الأحداث التي فرقت بين المسلمين، وقسمتهم إلى معسكرات. وكان من الطبيعي- بعد أن آثر اليمنيون الإسلام على أنفسهم ووطنهم، وتناسوا معه العصبية الجاهلية- أن يشتركوا في تلك الأحداث، وأن تجترفهم التيارات المتضادة، وتنحرف بهم أعاصير السياسة، فذهب من ذهب منهم مع الإمام علي وهم الكثير، وانضم منهم فريق آخر إلى معاوية، وتعصب كل فريق لصاحبه.

سفارة الإمام علي إلى اليمن:

ومن هنا نرى أن علياً كان له مريدون ومحبون من الصحابة في عهد الرسول- ﷺ-، ولم يقتصر وجود هؤلاء على المدينة وحدها، بل أخذ عددهم يزداد كلما اتسعت رقعة الإسلام، وزاد عدد المسلمين؛ وبخاصة في بلاد اليمن لأنها حظيت بإرسال علي إليها في عهد الرسول. وزار أمير المؤمنين اليمن ثلاث مرات، وفي المرة الأخيرة وصل إلى عدن أبين.(٢)، وذكر ابن هشام(٣) أنه-ﷺ- قد بعث سنة تسع (عام الوفود) بعلي بن أبي طالب- رضي الله عنه- إلى أهل نجران، ليجمع صدقتهم، ويقدم عليهم بجزية، وقال ابن كثير ما معناه أن النبي- ﷺ- أرسل علياً إلى اليمن قبل حجة الوداع، أي نهاية سنة ١٠ هـ، فقدم على صنعاء، وصلى برجالها، وجمع قبائل همدان، وقرأ عليهم

(٢) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن صـ١٣

(٣) ابن هشام، أبو محمد عبد الملك الحميري المعافري، سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أجزاء صـ٩٦٥

كتاب النبي -ﷺ-، فأسلمت همدان جميعاً في يوم واحد، ولما وصل الخبر إلى النبي-ﷺ- خرَّ ساجداً، ثم رفع رأسه فقال: "السلام على همدان، السلام على همدان". وذكر الهمداني في "الصليحون" أن علياً دخل عدن أبين، وخطب على منبرها خطبة بليغة، وذلك قبل رجوعه إلى المدينة.

ويرى الهمداني أن هذه الاتصالات الشخصية باليمن قد تركت أثراً في نفوس الناس هناك، ذلك الأثر هو حب علي وآل بيت النبي، وبقي هذا الحب يزداد ما بقيت الأيام، حتى أن الإمام الفاطمي المستور الحسين بن أحمد[٤] حين أرسل أبا القاسم الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان الكوفي[٥] داعياً إلى اليمن أمره أن ينزل عدن لاعة[٦]؛ لأن بها بعضاً ممن يدين بدعوته؛ ولأن الله عَزَّ وجَلَّ قسم لليمانية ألَّا يتم أمر في هذه الشريعة إلا بنصرهم، فوصل إليها حيث وجد كثيرين ممن يدينون بالولاء لعلي وآل بيته.

---

(٤) أبو المهدي عبدالله بن الحسين، ويدعى الحسين المقتدى أحياناً (إدريس، عماد الدين: زهر المعاني صـ٦٣) وهو الحسين بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق. وقد اختلفت المصادر اختلافاً شديداً في أسماء أجداد المهدي عبدالله. وذلك يرجع إلى الستار الذي فرضه الأئمة المستورون على أنفسهم وإلى اختيارهم أسماء غير أسمائهم الحقيقية كما رواه الشيخ جعفر بن منصور اليمن في كتابه المسمى بالفرائض وحدود الدين (انظر: On the Genealogy of the Fatimid Caliphs. School for Oriental Studies،Cairo: American University of Cairo ، 1958).

(٥) كذا ورد اسمه في افتتاح (٣-٤) وفي الحور صـ١٩٧ جاء: أبو القاسم أبو الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان الكوفي واشتهر باسم منصور اليمن بعد أن فتح هو وعلي بن الفضل الجيشاني اليمن.

(٦) عدن أبين مشهورة، لكن وجب التمييز بينها وبين عدن لاعة: وهي قرية بجنب مدينة لاعة من أعمال صنعاء (معجم البلدان ٤/ ٨٩).

الدولة الفاطمية الأولى في عهد منصور اليمن (٢٦٨-٣٠٣هـ):

لقد استفاد الداعيان الإسماعيليان (ابن حوشب، وابن الفضل) من الحالة السياسية والدينية في اليمن عند ظهورهما وقدراتهما الذاتية، واستغلا الإمكانيات التي توافرت لهما، وسرعان ما أصبحا ضمن حلقات الصراع في اليمن كطرف فاعل بالغ التأثير شديد الخطورة وقفت أمامه بقية الأطراف مضطربة فزعة مذعورة وعاجزة عن الحد من اندفاع تياره الجارف الذي اكتسح جبال اليمن وسهولها، وبسط نفوذ الدعوة الإسماعيلية على معظم هضبة اليمن وجبال السراة، وكادت سلطتهما تغطي كامل التراب اليمني لولا الظروف التي أحاطت بالدعوة عموماً والمتمثلة بظهور عبيدالله المهدي في المغرب الأقصى، وانفصال علي بن الفضل عن التكوين الدعوي، واستقلاله بالسلطة فيما تحت يديه من الأرض وإعلانه ثورته السياسية، وانتهاج أسلوب الحكم الفردي في إدارة مملكته. وهذا الوضع انعكس سلباً على جهاز الدعوة في اليمن؛ إذ أدى فيما بعد إلى اختلاف الداعيَيْن في اليمن، وتفاقم الأمر باحتدام الخلاف وتحوله إلى صراع دموي بينهما، وكان لأطراف الصراع الأخرى في اليمن أدوار مشهودة في تأجيجه وإذكاء أواره.

لم يؤد اختلاف ابن حوشب وابن الفضل إلى إضعاف مركز الدعوة في اليمن وحسب، بل أتاح لخصومها-اليعفريين والإمام الرسي- فرصة النيل من مصداقيتها، والطعن في صحة عقيدتها، والتشكيك في إيمان أصحابها إلى حد الجهر بتكفيرهم، والدعوة إلى جهادهم وتطهير البلاد من رجسهم، وتم لهم تدمير المذيخرة، والتنكيل بأصحاب علي بن الفضل، وسبي نسائه وقتل أولاده، ثم الإجهاز على كيان ابن حوشب في مسور، لتدخل الدعوة الإسماعيلية بعدها

في اليمن مرحلة الانكفاء على الذات "الستر"[٧]، وممارسة النشاط الدعوي بصورة محدودة جداً وبشكل سري تام حتى سنة ٤٣٩هـ[٨].

الدولة الصليحية (٤٣٩- ٥٢٥هـ):

قامت دولة (الصليحيين) على يد مؤسسها علي بن محمد الصليحي، وذلك في عام (٤٣٩هـ). وقد نشأ الصليحي في بلدة (الأخروج) من بلاد الحيمة، إحدى نواحي لواء صنعاء، وكان والده القاضي (محمد الصليحي) يقيم في حصن (يناع) من بلاد الحيمة، وكان سني المذهب نافذ الكلمة في قومه[٩].

وقد اعتنق الصليحي مذهب الإسماعيلية على يد آخر دعاتها في مرحلة الاستتار الداعي (سليمان بن عبد الله الزواحي)، وكان الدافع لهذا إلى العناية بتربية (علي بن محمد الصليحي) وتعليمه المذهب الإسماعيلي، ما لاح له من مخائل النبل فيه، والاستعداد لحمل أعباء الدعوة الفاطمية بعد موته[١٠].

ولما حضرت الداعي (سليمان الزواحي) الوفاة أوصى بكتبه وبمال وفير لعلي بن محمد الصليحي، بعد أن وافق الإمام الفاطمي المستنصر بالله[١١] على

---

(٧) "دور الستر": مدة من الزمن يكون فيها الإمام صاحب الزمان متخفياً، ومرت الدعوة بدور الستر الأول في عصر الإمام المستور عبدالله بن محمد، المتوفى عام (٢١٢هـ) وانتهى بقيام الإمام عبدالله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية، المتوفى عام (٣٢٢هـ)؛ أما دور الستر الثاني فبدأ باستتار الإمام الطيب المولود سنة (٥٢٤هـ) وحتى الآن.

(٨) للمزيد يمكن الاطلاع على كتاب الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن صـ٤٨.

(٩) الصليحيون صـ٦٢ .

(١٠) الصليحيون صـ٦٨ .

(١١) المستنصر بالله (٤٢٠ ـ ٤٨٧ هـ) هو أبو تميم معد بن الظاهر المعروف بالمستنصر بالله بن علي الظاهر لإعزاز دين الله، وهو الخليفة الفاطمي الثامن والإمام الثامن عشر في سلسلة أئمة الشيعة الإسماعيلية، توفي في (١٨ من ذي الحجة سنة ٤٨٧هـ) عن عمر يناهز **سبعة وستين عامًا**، وبعد حكم دام نحو **ستين عامًا**، وهي أطول مدّة في تاريخ الخلافة الإسلامية. (انظر: بحوث في الملل والنّحل للسبحاني ١٣٨/٨؛ أيضاً: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة؛ يمكن الرجوع إلى المقريزي؛ اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق الشيال ومحمد حلمي).

ذلك، ساعد (الصليحي) كل ذلك على الاضطلاع بالمسؤولية، دعوةً وحكماً، على أكمل وجه.

وقد بدأ علي بن محمد الصليحي أمره دليلاً للحاج على طريق جبال السراة، واستمر على ذلك خمسةَ عشرَ عاماً[١٢]، كان خلالها يتعرف على أهل اليمن، ويجتمع بالعلماء منهم ومن غيرهم، وكان يبحث مع من يأنس بهم أمر القيام بالدعوة الفاطمية في اليمن، وعن الوسائل الكفيلة بنجاحها. وأكسبته رحلات الحج تلك خبرة بأحوال الناس، ومكنته من دراسة النفس اليمنية، وأفادته في التعامل معها طيلة عهده. وبقيام الإمارة النجاحية والدولة الصليحية قامت في اليمن حكومتان متعارضتان سياسياً وعقائدياً، اتسمت الأولى بالسنية بحكم تبعيتها للعباسيين، واتسمت الثانية بالشيعية بحكم تبعيتها للفاطميين.

وفي العامين الأخيرين من (الخمسة عشر عاماً) التي ظل علي بن محمد الصليحي فيها دليلاً للحاج بحث مع أعيان اليمن ممن يأنس بهم أمر القيام بالدعوة الفاطمية في اليمن، ثم تعاهد مع ستين رجلاً من همدان في مكة على أن يجهروا بالدعوة، ويجاهدوا في سبيلها حتى يظفروا بها أو يموتوا، وكان المتحالفون معه في عزةٍ ومنعةٍ من قومهم.

وحدد مع خاصته يوم الأربعاء الرابع عشر من جمادى الآخرة من عام (٤٣٩) للهجرة موعداً لإعلان الدعوة من أعلى جبل مسار في بلاد حراز، وطلب منهم وصولهم في الموعد المذكور، وكانوا من يام نجران وسنحان صعدة، وغيرهما. وفي نفس اليوم المذكور بعث رسله إلى أتباعه القريبين منه في بلاد حراز، واجتمع له ذلك اليوم من همدان ثلاثمائة رجل، عدا من اجتمع لديه من بلاد حراز والمناطق القريبة منها.

---

(١٢) الصليحيون صـ٦٥ .

ولما كان عصر اليوم المذكور أرسل علي بن محمد الصليحي أربعين رجلاً من أهل هوازن من بلاد حراز إلى قمة جبل مسار للتمركز فيه، ومنع أهل مسار من الاستيلاء عليه والحيلولة دون طلوعه. أما هو وبقية أتباعه فإنهم صعدوا جبل مسار بعد صلاة العشاء، وفشلت محاولة أهل جبل مسار منعه من طلوع الجبل[١٣]، ومن أعلى جبل مسار أعلن دعوته للإمام المستنصر بالله. وتختلف الروايات حول تاريخ مقتله، حيث يؤكد الكثير من المؤرخين أن مقتله كان نتيجة خيانة العبيد له أثناء توجهه إلى الحج يوم السبت ١٢ ذي القعدة سنة ٤٧٣هـ، وفي رواية أخرى أنها سنة ٤٥٩هـ.

تسامح الدولة الصليحية مع أهل السنة:

من ضمن السياسات التي اتبعها الصليحي في إدارته لليمن يذكر الهمداني في "الصليحيون" أن الصليحي كان يتسامح مع أهل السنة، وصبر على تكفير الناس له، ووصفه بالجور.

كذلك فعل أسعد بن شهاب لما دخل زبيد سنة ٤٥٦هـ والياً عليها من قبل الصليحي، "فأحسن السيرة في الرعية، وأذن لأهل السنة بإظهار مذهبهم"، وغير ذلك من الأحداث التي بيَّنها الهمداني في الصليحيون[١٤]. ويؤكد الهمداني أن هذه السياسة الدينية للدولة الصليحية ساعدت إلى حد ما على حفظ الأمن في البلاد الخاضعة لها، مع وجود المعارضة القوية لمذهبها الرسمي.

الملكة السيدة أروى بنت أحمد الصليحي:

هي أروى بنت أحمد بن محمد بن جعفر بن موسى الصليحي، وتُلقب بـ"السيدة الحرة"، وغلب على اسمها في كتب التاريخ، زوجة المكرَّم أحمد بن

---

(١٣) الصليحيون صـ٧٥ .

(١٤) انظر الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن صـ١١٠، ١١١.

علي الصليحي ملك اليمن، من الأسرة الصليحية التي حكمت اليمن بعد أن وحَّدت معظم إماراته (٤٣٩-٥٣٣هـ)، ونشرت الدعوة الإسماعيلية.

فوّض المكرم الأمور إلى زوجته أروى، فكان أول ما قامت به، بعد أن غادرت صنعاء، أن اتخذت مقرها في قصر شيده زوجها في حصن بجبلة (اليمن)، ونقل إليه ذخائره، واتخذت جبلة عاصمة لها، وقامت بتدبير المملكة خير قيام، وبسطت سلطانها على القبائل اليمنية، فخضع الناس لها، وكانت مراسلات المستنصر بالله الفاطمي تصدر إلى اليمن باسمها.

وبعد وفاة زوجها المكرّم سنة ٤٨١هـ، اختلف الصليحيون والزواحيون في من يتولى الحكم، وكان زوجها قد أوصى أن تسند أمور الدعوة إلى الأمير المنصور سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي الذي طمح إلى الزواج منها، فلم ترض أروى بهذا الاختيار، واحتكم سبأ إلى المستنصر بالله الفاطمي الذي أمر أروى أن تقبل بسبأ زوجاً، وإن ظل هذا الزواج صورياً. وظلّت أروى تمسك بمقاليد الحكم الفعلية، وتُرفع إليها الرقاع، ويجتمع عندها الوزراء، ويدعى لها على منابر اليمن، فيخطب أولاً للخليفة الفاطمي، ثم لسبأ بن أحمد، ثم للسيدة الحرّة أروى. ولم تلبث أن استقلت بأمر الحكم بعد وفاة زوجها الثاني سبأ سنة ٤٩٢هـ، واعتمدت في تدبير أمور الملك على عدد من الثقات، منهم: المفضّل بن أبي البركات، وزريع بن أبي الفضل، وعليّ بن إبراهيم بن نجيب الدولة وغيرهم، وامتدت أيام حكمها بعد ذلك أربعين سنة، استطاعت في أثنائها أن تمارس سيادتها على الإمارات اليمنية الصغيرة من دون إخضاعها.

وقد عملت السيدة أروى إبّان حكمها على تشجيع البناء والعمارة، وأولت إنشاء المدارس والمستشفيات والمساجد اهتمامها الزائد، ولم يقف نفوذها عند

حدود اليمن، فقد كَلَّف الخليفة الفاطمي الإمام المستنصر الملكة السيدة أيضاً بشؤون الدعوة الإسماعيلية بشكل رسمي في عُمان وغربي الهند.

وقد أشرف الصليحيون بشكل واضح على اختيار الدعاة وإرسالهم إلى كوجرات في غربي الهند، وذلك بعد الحصول على الموافقة من مركز الدعوة الفاطمية الرئيسي. ولعبت السيدة دوراً حاسماً وخاصاً في إعادة تجديد الجهود الفاطمية في عهد المستنصر لنشر الدعوة الإسماعيلية في شبه القارة الهندية، ونتيجة لهذه الجهود الصليحية بدأ الدعاة الذين تم إرسالهم من اليمن بتأسيس طائفة إسماعيلية جديدة في كوجرات في حوالي العام ٤٦٠ هـ، وحافظت الدعوة في غربي الهند في عهد الملكة السيدة على روابطها المحكمة مع اليمن. وفي النصف الثاني من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي تحولت الطائفة الإسماعيلية التي تم تأسيسها في كوجرات لتصبح طائفة البهرة[١٥] الطيبية الحالية. وعلينا أن نضيف هنا أن امتداد الدعوة الإسماعيلية في اليمن وكوجرات في عهد المستنصر قد تعلق وبشكل مباشر بتطور المصالح التجارية الجديدة للدولة الفاطمية، والتي تستلزم الانتفاع من اليمن كمركز آمن على طول طريق البحر الأحمر التجاري إلى الهند.

---

(١٥) الطيبيون البهرة الداوديون جماعة مسلمة شيعية تنتمي إلى الفرع المستعلي من الإسماعيلية، وتعود بتراثها الديني والأدبي إلى الأئمة- الخلفاء الفاطميين في شمال إفريقيا ومصر، وهم في معظمهم هنود من أهالي البلاد تحولوا إلى الإسلام في القرن الخامس /الحادي عشر على أيدي دعاة أرسلهم بداية الإمام المستنصر، وفي مرحلة ما أصبحوا يعرفون بلقب "البهرة" (وفي بعض الأوقات بـ"البهري" المستعملة في صيغتي الجمع والمفرد)، وفي اللغة الغجراتية تعني هذه الكلمة "الر جل الأمين أو الجدير بالثقة في التعامل والتفاعل الإجتماعي" أو ببساطة "التاجر"؛ وتشير "الداؤدية" وتكتب عند العامية داودية في البهرة الداودية إلى اعترافهم بولاية الداعي سيدنا داؤد بن قطب شاه الذي تولى الدعوة بين ٩٩٩ و١٠٢١ هجرية، بينما عارضه سليمان بن الحسن أول دعاة البهرة السليمانية. المجموعة الثالثة هم البهرة العلويون، وتبدو الاختلافات العقائدية بين جميع المجموعات في أدنى حدٍ لها.

انشقاق الدعوة الإسماعيلية ـ الانشقاق المستعلي النزاري:

حدث الانشقاق المستعلي النزاري في الإسماعيلية في عهد السيدة أيضاً عام ٤٨٧هـ، وقسَّم هذا الانشقاق الطائفة الإسماعيلية الموحدة آنذاك إلى جزأين متنافسين، وهما المستعلية التي اعترفت بالمستعلي خليفة للمستنصر بالله على العرش الفاطمي وأيضاً إماماً لهم، والنزارية التي أيَّدت حقوق نزار الابن الأكبر للمستنصر، واعتبرته ولي العهد الشرعي المُعَّين من قبل المستنصر.

واعترفت الملكة السيدة الحرة بالإمامة الشرعية للمستعلي بعد المستنصر، وذلك بحكم العلاقات المحكمة بين اليمن الصليحية ومصر الفاطمية، وبذلك حافظت على روابطها مع القاهرة والمركز الرئيسي للدعوة هناك الذي أصبح يخدم كمركز للدعوة المستعلية. ونتيجة لقرار السيدة انضمت الطوائف الإسماعيلية في اليمن وكوجرات، مع معظم الإسماعيليين في مصر وسوريا، إلى مخيم المستعلية بدون أي انشقاق، لكن الإسماعيليين في جهة إيران –شرق العالم الاسلامي- الذين أقاموا في المناطق الخاضعة للسلاجقة، كانوا آنذاك تحت قيادة الحسن بن الصباح (٥١٨هـ/١١٢٤م)، وهؤلاء أيدوا دعوى نزار ورفضوا الاعتراف بإمامة الخليفة المستعلي الفاطمي.

انهيار الإمبراطورية الفاطمية:

تم اغتيال الإمام الآمر وهو الخليفة الفاطمي العاشر والإمام العشرون للمستعلية في ذي القعدة ٥٢٤هـ / تشرين الأول ١١٣٠م، وبعدها بدأت الخلافة الفاطمية طورها الأخير من الانهيار والانحطاط الموسوم بأزمات متعددة تتعلق بالسياسة والحرب والدين والسلالة الحاكمة، كما أضعف الانقسام الجديد أيضاً الدعوة المستعلية. وولد للآمر صبي قبل موته ببضعة أشهر، وسُمي

"الطيب"[١٦]، وتم النص عليه في سجل البشارة الذي بعث به الإمام الآمر إلى السيدة الحرة مع الشريف محمد بن حيدرة، وهو شخص موثوق، معلناً ولادة أبو القاسم الطيب في ربيع الثاني ٥٢٤ للهجرة[١٧]. شهد على صحة حقيقة الطيب التاريخية ابن ميسر (٦٧٧هـ-١٢٧٨م)[١٨] ومؤرخون آخرون. وعلى أية حال، عيّن الطيب على الفور وريثاً للآمر، وبوفاة الإمام الآمر تولى الحكم ابن عمه أبو الميمون عبدالمجيد (٥٢٦هـ-١١٣٢م) الذي سُمي لاحقاً "الخليفة" و"الإمام"، وأعطي لقب "الحافظ لدين الله".

الانشقاق الطيبي الحافظي:

سبّب إعلان الحافظ لدين الله خليفة وإماماً انقساماً كبيراً في الطائفة المستعلية، ولقي ادعاؤه الإمامة الدعم بشكل خاص من تنظيم الدعوة الرسمي في القاهرة، والأغلبية من الإسماعيلية المستعلية في مصر وسورية الذين أصبحوا معروفين بـ"الحافظية". وأيدت الملكة السيدة الحرة أروى بنت أحمد الصليحي قضية الطيب معترفةً به خليفة للآمر على الإمامة. وفي البداية كان يطلق على هؤلاء الإسماعيليين اسم "الآمرية"، ولكن بعد تأسيس الدعوة الطيبية المستقلة في اليمن فيما بعد أصبحت تسميتهم "الطيبية"، وأصبحت

---

(١٦) أبو القاسم الطيب بن المنصور يعتبر الإمام الحادي والعشرين للشيعة الإسماعيلية المستعلية، وهو ابن الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله، وبحسب رواية المقريزي فإنه ولد في ربيع الأول من عام ٥٢٤ هجري وزينت القاهرة بميلاده بأمر من أبيه الآمر بأحكام الله لمدة ١٤ يوماً، وأصبحت السيدة الحرة الملكة أروى بنت أحمد الصليحي مستودعاً له لكي تكون اليمن مهداً للدعوة للإمام الطيب حيث دخل الأئمة في دور الستر الثاني (الكهف الثاني) (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة).

(١٧) هذه السجلات محفوظة في المجلد السابع من "عيون الأخبار" للداعي إدريس وفي مصادر طيبية أخرى، وكذلك موجودة في "عمارة، تاريخ"، نص الصفحات ١٠٠-١٠٢، الصفحات المترجمة ١٣٥-٣٦، انظر كذلك ستيرن "الخلافة" الصفحة ١٤٩ف، والهمداني، "الصليحيون"، الصفحات ١٨٣-٨٤، -٣٢١-٣٢٢.

(١٨) ابن ميسر، "أخبار مصر"، تأليف فؤاد سيد (القاهرة: المعهد الفرنسي لعلوم الهندسة المعمارية الشرقية، ١٩٨١)، الصفحات ١٠٩-١١٠.

السيدة حينها الزعيمة الرسمية للجماعة الطيبية في اليمن، وقطعت روابطها مع القاهرة بشكل مشابه لما فعله الحسن بن الصباح في بلاد فارس عند وفاة المستنصر عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م. وصادَقَ الداعي الذؤيب[١٩] بشكل كامل على قرار السيدة. وعلى العكس، فالزريعيون من عدن، وبعض الهمدانيين من صنعاء الذين انتصروا باستقلالهم عن الصليحيين قد دعموا الإسماعيلية الحافظية باعترافهم بالحافظ والخلفاء الفاطميين اللاحقين له أئمةً لهم.

ارتبطت الإسماعيلية الحافظية بالنظام الفاطمي، واختفت سريعاً بعد انهيار الأسرة الفاطمية الحاكمة عام ٥٦٧هـ/١١٧١م، والغزو الأيوبي القادم من جنوب الجزيرة العربية عام ٥٦٩هـ/١١٧٣م. أما الدعوة الطيبية التي بدأت بها السيدة فقد بقيت في اليمن، وبقي مركزها الرئيسي في حراز. وبسبب الروابط القوية والمحكمة بين اليمن الصليحي وكوجرات كانت الدعوة الطيبية أيضاً محفوظة في الهند الغربية، وهذا يبرر استمرارية تواجد الإسماعيلية الطيبية هناك، ويعرفون حالياً بـ"البهرة".

فصل الدعوة عن الدولة:

لما توفي الخليفة المستعلي سنة ٤٩٥هـ، وخلفه ابنه الآمر، قامت الملكة الحرة بالدعوة خير قيام، وساندها في ذلك الداعي يحيى بن لمك، حتى توفي الداعي يحيى سنة ٥٢٠ هـ. ولما تبين للملكة أن مملكتها أخذت تتزعزع أركانها قررت بثاقب فكرها أن تفصل الدعوة عن الدولة[٢٠] فصلاً تاماً، كما كان الحال في مصر، حتى تباشر الدعوة نشاطها العلمي والديني مستقلة عن تأييد الدولة،

(١٩) الذؤيب بن موسى الوادعي الهمداني: الداعي المطلق الأول في سلسلة الدعاة الطيبيين في دور الستر الثاني الذي أعقب وفاة الإمام الآمر بأحكام الله واستتار ابنه الإمام الطيب بن الآمر. (للمزيد انظر ترجمته ضمن مجموع رسائل الذؤيب، تحقيق وتقديم: د. عمرو بن معد يكرب حسين الهمداني، منشورات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، صنعاء- اليمن، ٢٠١٤م).

(٢٠) للمزيد عن ذلك انظر الصليحيون صـ٢٣٢

ففصلت هيئة الدعوة كلية عن إدارة الحكومة[٢١]. وبعد عام ٥٢٦هـ مباشرة أعلنت السيدة تولي الذؤيب رتبة "الداعي المطلق"، وهو الداعي الذي يمتلك الصلاحية المطلقة، هذا يعد أيضاً إجراء ذكياً منهاً لتضمن البقاء للإسماعيلية الطيبية بعد سقوط الدولة الصليحية. وساهم الداعي المطلق الأول الذؤيب الذي عاضده بداية الداعي الخطاب بن الحسن[٢٢] في نجاح الدعوة الإسماعيلية الطيبية، وبعد مقتل الخطاب على يد أبناء أخيه عام ٥٣٣، وذلك بعد وفاة الملكة الحرة بعام، عين الذؤيب إبراهيم بن الحسين الحامدي الهمداني[٢٣] معاضداً وخليفةً له، وبعد وفاة الذؤيب عام ٥٤٦هـ خلفه إبراهيم (٥٥٧هـ/١١٦٢م) على قيادة الدعوة الطيبية بوصفه "داعياً مطلقاً". وهكذا أصبحت الدعوة الطيبية مستقلة تماماً عن النظام الفاطمي وعن الدولة الصليحية، وهذا يوضح سبب بقائها بعد سقوط كلتا السلالتين الحاكمتين، ونجاحها في القرون التي تلتها في توسعها الناجح في اليمن والهند الغربية بدون أي دعم سياسي.

---

(٢١) الاعتزال عن أمور السياسة والدولة إذا ما أصبحت عائقة أمام الهدف السامي، لأنها (أي أمور السياسية والدولة) كانت عند الفاطميين ودعاتهم آلة لأداء المسئولية الكبرى التي هي حفظ الدعوة وتربية المؤمنين، وقد اختاروا دائماً عدم التدخل في سياسة الحكومات، وأوصوا أتباعهم بالوفاء لحكومتهم أينما كانوا في البلاد. (انظر الموسم صـ٣٢؛ العددان (٤٣-٤٤) ١٩٩٩م).

(٢٢) السلطان الخطاب بن الحسن بن أبي الحفاظ الحجوري (٤٧٥ - ٥٣٣ هـ / ١٠٨٢ - ١١٣٨ م)، أحد شعراء القرن السادس الهجري من أهل اليمن، متصوف، فارس، كان معاضداً للداعي الذؤيب بن موسى الوادعي، وتوفي في حياته (انظر: بوابة الشعراء، السلطان الخطاب؛ أنظر أيضاً: السلطان الخطاب- حياته وشعره، إسماعيل قربان حسين، صـ٧٢، أنظر أيضاً ترجمته كاملة ضمن مجموع مؤلفات الخطاب، تحقيق وتقديم: د. عمرو معديكرب الهمداني، منشورات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، صنعاء- اليمن، ٢٠١٧م).

(٢٣) إبراهيم بن الحسين الحامدي الهمداني: الداعي المطلق الثاني في سلسلة الدعاة الطيبيين في دور الستر الثاني الذي أعقب وفاة الإمام الآمر بأحكام الله واستتار ابنه الإمام الطيب بن الآمر (للمزيد انظر ترجمته ضمن مجموع مؤلفات الحامدي، تحقيق وتقديم: د. عمرو بن معديكرب حسين الهمداني، منشورات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، صنعاء- اليمن، ٢٠١٦م).

سقوط الدولة الصليحية:

مرضت الملكة أروى طويلاً، فلمّا ماتت دفنت في مسجد كانت بنته بذي جبلة، وقبرها لايزال حتى اليوم مزاراً. وقامت عدة محاولات في العصور الوسطى من قبل الزيديين وأعداء الإسماعيلية الآخرين في اليمن لتدمير جامع ذي جبلة، ولكن حجرة قبر السيدة الحرة التي حفر عليها آيات قرآنية بقيت سليمة، ومَثَّل موتها النهاية الفعلية للسلالة الصليحية الحاكمة، وعلى إثر وفاتها دبّ الضعف في جسد الدولة الصليحية، وتفككت أوصالها، وصار الأمر فيها إلى الأمراء من آل زريع، وانتهى أمر الصليحيين تماماً بعد أن غزا توران شاه بن أيوب اليمن سنة ٥٦٩هـ.

الانشقاق السليماني الداؤدي وانتقال الدعوة إلى الهند:

مُنْذُ انتهاء الدولة الصليحية استمرت الدعوة الطيبية الإسماعيلية في مسارها، بقيادة الدعاة من أسرة الحامدي الهمداني، ثم من دعاة بني الأنف القرشيين، ابتداءً بالداعي علي بن محمد بن الوليد[٢٤]. وقد تتابع الدعاة من بني الأنف حتى عام ٩٤٦هـ/ ١٥٣٩م، ولم يتخللهم إلا داعيان من أسرة الوادعي، هما الداعي علي بن حنظلة الوادعي (ت٦٢٦هـ)، وحفيده علي بن الحسين بن علي (ت ٦٨٦هـ)، وكانت سياستهم تسير في خط واحد تقريباً، فقد دأبوا على عدم التدخل في شؤون السياسة بقدر الإمكان. ونتيجة الدور الذي لعبه حكم أئمة الزيدية ضد الإسماعيلية، فقد انضوت الإسماعيلية ضمن القوى المعارضة لحكم الزيديين، وكان القرن الثامن الهجري من أكثر الفترات التي شهد فيها الطرفان

(٢٤) علي بن محمد بن الوليد: الداعي المطلق الخامس في سلسلة الدعاة الطيبيين في دور الستر الثاني الذي أعقب وفاة الإمام الآمر بأحكام الله واستتار ابنه الإمام الطيب بن الآمر (للمزيد انظر ترجمته في مقدمة ديوانه، تحقيق وتقديم: د. عمرو بن معديكرب حسين الهمداني، منشورات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، صنعاء- اليمن، ٢٠١٥م).

الإسماعيلي والزيدي صراعاً مطرداً لم يستطع أحد طرفيه أن يكون المنتصر المطلق[٢٥]. واستمر الوضع على سالف عهده إلى فترة الإمام الزيدي شرف الدين، عندما خاض ولده المطهر ضد الإسماعيلية أشرس المعارك التي شهدها الطرفان، فبدأ حملة تصفية لهم في العام ٩٢٩هـ/١٥٢٢م في دروم (طيبة) من همدان الصغرى القريبة من صنعاء، وأسقط قلاعهم وحصونهم الواحد تلو الآخر حتى أجلاهم عن بلادهم، وكان آخر تلك الحروب عام ٩٤٤هـ/١٥٣٧م عندما فتح شمس الدين- الابن الآخر للإمام شرف الدين- بلاد حراز[٢٦]. واعتقد الإسماعيلية أن دخول الأتراك إلى اليمن عام ١٥٣٨م هو حبل النجاة لهم بعدما شردوا من مناطقهم، ولكن لم يدم ذلك حتى لعب الأتراك نفس دور الأئمة الزيديين، حيث قام الأتراك بسجن الداعي الإسماعيلي يوسف الهندي حتى مات في سجنه عام ٩٧٣هـ/١٥٦٥م[٢٧]. وكان انتقال الدعوة إلى أحد الهنود عام ٩٤٦هـ هو الأول من نوعه في تاريخ الدعوة المستعلية الطيبية، وكان آخر دعاة بني الأنف هو آخر داعٍ يمني يخضع له إسماعيلية الهند الذين عرفوا لاحقاً بـ"البهرة". وبانتقال الدعوة إلى الهند تم نقل الكثير من ذخائر الإسماعيلية في اليمن من كتب وسلاح وغيرها. ويمكن القول إن ما تم نقله هو بعد حرق أئمة الزيدية لكثير من مكتباتهم واستيلائهم على ثرواتهم. وجاء نقل الدعوة إلى الهند نتيجة الضعف الشديد الذي طرأ على الإسماعيلية في اليمن، خاصة بعد الهزائم التي تكبدوها على يد المطهر بن شرف الدين.

وفي العام ٩٩٩هـ/١٥٩٠م حدث أول انقسام في طائفة الإسماعيلية المستعلية الطيبية عندما توفي ثالث الدعاة الهنود في الهند، وقام سليمان بن الحسن- حفيد

(٢٥) عن ذلك الصراع انظر: الحسين، غاية الأماني ج١/صـ٤٩٩-٥٤٩.
(٢٦) شرف الدين: روح الروح صـ١٠٧-١٠٨.
(٢٧) برهان بوري: منتزع الأخبار صـ١٨٥ .

يوسف بن سليمان الهندي القاطن في اليمن- بادعاء أحقيته في منصب "الداعي المطلق" بناء على وصية من الداعي السابق، الذي أيده أتباع الإسماعيلية في اليمن، وفي الوقت نفسه قام أتباع الطائفة في الهند بتعيين الداعي داؤد بن قطب شاه، وذهب سليمان بن الحسن إلى الهند ليدافع عن حقه في منصب الداعي لكن ذلك لم يجد نفعاً، ولم يناصره من إسماعيلية الهند سوى القليل، ومات ودُفن في الهند.

ومُنْذُ ذلك الحين، انقسمت الدعوة إلى قسمين: الداؤدية، نسبة إلى الداعي داؤد، وأتباعها في الهند ومركزها في بومباي، ومركز فرعي في كراتشي، واليمن وكينيا. والسليمانية، نسبة إلى الداعي سليمان، وأتباعها يتمركزون في اليمن وإقليم نجران، وفي الهند في حيدر آباد الدكن، وبرودة، وكجرات قرب بومباي وفي باكستان[٢٨].

الدعوة السليمانية الإسماعيلية ونقلها إلى نجران:

تُجمع أغلب المصادر على أن أول من انتقل إلى نجران من دعاة الإسماعيلية هو الداعي محمد بن إسماعيل المكرمي في العام (١١٠٨هـ/ ١٦٩٧م)، على إثر خلاف حول المعتقد مع الإمام المهدي (أحد أئمة الزيدية). ومُنْذُ انتقاله، أصبحت نجران مركز ثقل الدعوة ومنطلق قيادتها، وأصبح أهل نجران أنصار الدعوة.. كما استطاع أن يستقل بحكم نجران عن حكم أئمة صعدة، وأصبحت (بدر) المركز الديني المهم للإسماعيلية.

كما أنهم ساسوا المكارمة[٢٩] أينما وجدوا (خارج نجران)، من حراز إلى الهند والسند وعراس.. إلخ، وقد حكموا نجران لثلاثة قرون تقريباً، ساسوا

(٢٨) الأعظمي: الحقائق الخفية صـ١٧، ١٨.

(٢٩) المكارمة: أسرة يمنية تولّت زعامة بني يام والجماعة الإسماعيلية الطيبية السليمانية في نجران واليمن مُنْذُ القرن الحادي عشر/ السابع عشر. وتتألف الأسرة من عشيرة بني مكرم من همدان، الذين سبق أن

رعيتهم بما يحافظ على وحدة القبيلة، حتى إن خرج بعض أبنائها عليهم لم يوقعوا بهم العقاب؛ ولعل مرجع ذلك يعود إلى أنهم أساساً من أبناء قبائل همدان الصغرى ويعرفون قدر وأهمية العرف القبلي.

كما اتصفوا بالشجاعة وحسن القيادة في الحروب، كما عززوا سلطتهم بالولاء المذهبي، مع اهتمامهم بتربية أبنائهم وأتباعهم بتعاليم مذهبهم(٣٠).

وبانتقال الداعي محمد بن إسماعيل المكرمي (ت ١١٢٩هـ) إلى نجران وضع اللبنات الأولى لبناء دولة قوية، وقد استمر خلفاؤه بالحفاظ عليها، وأضافوا إلى سلطتهم في نجران كل مناطق أتباعهم في اليمن "التي كانت خاضعة لسلطة الأئمة الزيديين"، ثم إنهم أصبحوا قوة مرهوبة الجانب في الجزيرة العربية بسبب ما قدمته لهم قبيلة (يام) من تعزيز لسلطتهم.

كما مارس المكارمة الحماية والضغط على حُكَّام أسرة الأشراف في المخلاف السليماني، وكانت لهم علاقة صراعية مع الدولة السعودية الأولى(٣١)، وتأكد لهم فيها زيادة القوة والمهابة.

الدعوة الإسماعيلية في الهند والسند:

استقروا في القرى الواقعة غربي صنعاء، وفي ما بعد استقر بعض المكارمة في بدر– نجران الشمالية، وبقيت بدر مكان إقامة تقليدي للدعاة المكارمة الإسماعيليين السليمانيين، الذين حافظوا على استقلالهم السياسي كحكام ليام حتى ضم المملكة السعودية لنجران عام ١٩٣٤م. (دفتري، معجم التاريخ الإسماعيلي صـ٢٦٥).

(٣٠) للمزيد انظر: نوفل، إسماعيلية اليمن السليمانية "المكارمة".

(٣١) حدثت أحداث قوية ومؤامرات بدعوى من الملك سعود الكبير ضد الدعوة الفاطمية في مدينة بدر الجنوب؛ المشهورة بحرب بدر مع جيش الدولة السعودية الأولى الذي أرسله سعود الكبير وقوامه ١٠٠٠٠٠ مقاتل تمكن الداعي عبدالله بن علي ومعه قبائل يام وهمدان من دحره وهزيمته شر هزيمة بحيث لم ينج منه إلا مثل همل النعم، رغم أنه كان مكوناً من أغلب قبائل نجد والجنوب، وتفاصيل هذه الحرب ذكرها لطف الله جحاف في كتابه درر نحور الحور العين، أحداث عام ١٢٢٣هـ، كما أوردها حمد الجاسر في مجلة العرب عدد الربيعان لعام ١٤١٥. (انظر أيضاً أحداث السنة الفاطمية، منشورات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث –اليمن).

ارتبطت الهند والسند بعلاقات وثيقة مع مركز الدعوة في اليمن، وظهرت تلك العلاقة بالتعيينات الصادرة من الحضرة الفاطمية في القاهرة، وتعيين الدعاة اليمنين دعاة على الهند والسند.

وتجلت المرحلة الثانية لعهد "الدعاة المطلقين" الفاطميين في الهند حين تم انتقال مركز الدعوة من اليمن إلى الهند مع قيام أول "داعٍ مطلق" في الهند، وهو الداعي المطلق الرابع والعشرون من سلسلة الدعاة الفاطميين، سيدنا يوسف بن سليمان الهندي (ت ٩٧٣هـ)[٣٢]. وقد قام بنص الداعي الثالث والعشرين محمد بن الحسين بن إدريس الأنف (ت ٩٣٦هـ)، ولا يزال مركز الدعوة حتى الوقت الحاضر في شبه القارة الهندية، وخصوصاً البهرة الداؤدية والعلوية في عصرنا الحالي هذا ممثلة في شخص الداعي المطلق الفاطمي. وأثناء تاريخ الدعوة في الهند، عُرف أبناؤها بـ"البهرة"، وأصبح هذا الاسم علماً عليهم مُنْذُ أكثر من أربعة قرون، (ومعنى كلمة البهرة باللغة الججراتية تاجر، وهي (أي اللغة الججراتية) إحدى اللغات القومية المنتشرة في مقاطعة كجرات في غربي الهند). وكذلك "بهرة"[٣٣] اسم قبيلة يمنية، وقد عرف أوائل هذه الجماعة الذين قدموا من اليمن إلى الهند باسم البهرة انتساباً إليها. والمرحلة الجديدة من تاريخ الدعوة تبدأ من أواسط القرن العاشر للهجرة (عام ٩٤٦هـ) في الهند بعدما انتقل إليها مركز الدعوة الفاطمية، ولا تزال مستمرة حتى الوقت الحاضر، وأبرز سمات هذه المرحلة:

- حفظ الدعوة، وتربية المؤمنين، وهما الهدفان الأساسان للدعوة في كل زمان وفي كل مكان مهما اختلفت البيئات والبلدان.

---

(٣٢) صحيفة الصلاة السليمانية صـ٦٨١؛ صحيفة الصلاة الداوودية ج٤/صـ٣٥.

(٣٣) وهو ما أطلق عليهم بأنها قبيلة يمنية جاءت مع الفتح الإسلامي إلى تونس، والمقصود هنا كناية عن القبيلة اليمنية الإسماعيلية.

- عهد الدعوة في الهند، كان أول عهد اتخذ الدعاة الفاطميون فيه مركز الدعوة خارج البلاد الإسلامية العربية، وبذلك أصبحت مسؤولية الدعاة المطلقين بالهند أعظم وأصعب في إقامة الشعائر الدينية، وإثراء اللغة العربية، والمحافظة على الثقافة الإسلامية.

كما اهتمت الطائفة الإسماعيلية في الهند بالتعليم اهتماماً بالغاً، وأنشأت في سبيل ذلك الجامعة السيفية ومركز الدعوة السليمانية، وتم تطوير "الدرس السيفي" الذي أقامه الداعي الثالث والأربعون عبد علي سيف الدين مركزاً للدراسات الفاطمية إلى مستوى المعاهد العلمية العالية، وأصبح بذلك يُعرف من ذلك الحين باسم "الجامعة السيفية"، ولا ننسى الدور الذي قامت به الأسرة الهمدانية اليمانية في هذا المجال من خلال تأسيس المدرسة المحمدية الهمدانية التي أسسها سيدي محمد علي الهمداني (ت ١٨٩٨م)، والتي أتاحت الفرصة لطلاب العلم بتلقي العلوم الإسماعيلية، وكان لها دور كبير في نشر التراث الإسماعيلي الفاطمي وحفظه من الضياع والتزوير. وحالياً تعد الدار المحمدية الهمدانية في اليمن هي المؤسسة العلمية والثقافية الوحيدة في الشرق الأوسط التي تُعنى بالتراث الفاطمي من جميع جوانبه، العلمية، والدينية، والفلسفية، والأدبية. وفي الهند الجامعة السيفية تقوم بهذا الدور، وفي بريطانيا المعهد الإسماعيلي للدراسات بلندن.

ثانياً: هجرات الطائفة الإسماعيلية: الأسباب والآثار

من خلال نظرة عامة على حالة أتباع الطائفة الإسماعيلية في اليمن نجد أن هجراتهم كانت ظاهرة ضرورية للبقاء، سواءً تلك الهجرات الطوعية المتمثلة في التعيينات التي كانت تصدر من حضرة مركز الدعوة في اليمن إلى عُمان

والهند الشرقية، أم بهدف إدارة الدعوة وأتباعها هناك وتنظيم شؤونها، أم من خلال عمليات الإزاحة والتهجير والنفي التي تعرضت لها من الأئمة الزيديين.

ولذا يجب دراسة ظاهرة الهجرة لهذه الطائفة بشكل أكثر تحديداً ودقة؛ لتوضيح طبيعة تلك الهجرات، وأسبابها، والآثار المترتبة عليها.

كانت اليمن مقراً للدعوة لأكثر من ٤٠٠ عام، وهي تواصل اليوم احتضانها عدداً كبيراً من السكان الإسماعيليين، ولو أن مسألة العدد هي موضع تجاذب كبير؛ ويعود ذلك بشكل خاص إلى الاضطهاد الذي مارسه الأئمة من حكام المملكة الزيدية في شمال اليمن قبل تحولها إلى جمهورية العام ١٩٦٢م، فقد سعى الأئمة الزيديون في صنعاء تقليدياً إلى الانتقاص من سمعة الدعوة والدعاة المطلقين، طوال التاريخ المضطرب الذي أمضوه معاً. وأحد الأمثلة على ذلك ما حدث في العام ١٩٣٥م، ففي أعقاب توقيع معاهدة الطائف مع الحجاز عام ١٩٣٤م حاول الإمام فرض تحويل جماعي للإسماعيلية إلى مذهبه، وهم الذين سبق أن أجبروا على الدعوة إلى العقيدة الزيدية في مدارسهم. وفي سنة ١٩١١م، سبق للزيديين أن حاصروا قرى الإسماعيلية في منطقة حراز- مكان التجمع الأكبر للإسماعيلية في اليمن، حيث عاشوا في عداء دائم تقريباً مع جيرانهم الزيديين- غير أن الإسماعيليين المتجمعين قرب ضريح الداعي الثالث حاتم بن إبراهيم الحامدي الهمداني[٣٤] (ت ٥٩٦هـ) في الحُطيب، تمكنوا من صد هجوم الزيديين في المعركة التي تلت ذلك، على الرغم من الخسائر الفادحة التي تكبدها الإسماعيليون في هذه المعارك. وبعد تحويل مقر قيادة الدعوة إلى الهند منتصف القرن العاشر/ السادس عشر، جرت معاملة اليمن كمقاطعة

(٣٤) للمزيد انظر الحامدي، تنبيه الغافلين؛ تحقيق: د. عمرو معديكرب الهمداني؛ منشورات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث.

خاصة، فخضعت الإدارة للسيطرة الكلية للمنصوب (وكيل- نائب الداعي)، وهو يمني من أهل البلاد، تولى الإشراف على جميع المناصيب (العمال) اليمنيين أيضاً، في مختلف مراكز الإسماعيلية في اليمن، وحافظ الدعاة على القيام باتصالات منتظمة مع الجماعة اليمنية- هذا بالنسبة للإسماعيلية الداؤدية- بينما الإسماعيلية السليمانية واصلت أنشطتها ونقل مقر الدعوة إلى نجران. وتقوم سياسة الدعوة على تشجيع الإسماعيلية اليمنيين على زيارة الهند ونجران (من أجل التسجيل والدراسة بشكل خاص)، وحضور تجمعات الجماعة واحتفالاتها. ولقد حقق الإسماعيليون اليمنيون اندماجاً أكبر مع البهرة الهنود، لكنهم يواصلون الاحتفاظ بعناصر معينة من لباسهم وثقافتهم المميزين.

هجرة الطائفة الإسماعيلية وطبيعتها:

لم تقرأ البيئة المجتمعية العربية التاريخ الإسماعيلي كما يجب أن يُقرأ، وربما لاعتبارات عديدة يدخل في سياقها: أولاً، سرية هذا التاريخ، مما يؤدي إلى تأكيد الحقيقة القائلة: "من جهل شيئاً عاداه". ثانياً، كتابة التاريخ العربي من قبل السلطة، وهي (السلطة العربية الإسلامية) عدوة الإسماعيلية. وبالتالي فإن قراءة تاريخ الإسماعيلية عبر بوابة التاريخ الشرعي/ السلطاني، إنما هي قراءة أحادية الجانب وسلبية الصورة، ولا سيما أن الإسماعيلية قد جسدت في التاريخ العربي الإسلامي الفصيل الأبرز والأهم في تاريخ المعارضة القروسطية العربية الإسلامية. ثالثاً، تركيز الإسماعيلية- ومُنْذُ بواكيرها الأولى- على المثقف وإهمال الجماهير جعلها في عزلة مجتمعية، أو تشكل دين الخاصة، بل حرمانها من طاقات بشرية كان بإمكانها أن تشكل قوة نضالية مقاومة. رابعاً، ليست الإسماعيلية وحدها قد دخلها التشويه، وإنما الفصائل العربية الإسلامية المعارضة كافة، لكن قد يكون نصيب الإسماعيلية أكبر من غيرها على

اعتبارها الفصيل الأبرز والأهم على أرض الواقع. أمام هذه المعطيات لم تتردد السلطوية العربية الحاكمة من باب الحرص على مصالحها واستمراريتها من توجيه التهم العديدة لها، وقد يأتي في مقدمتها تهمة الإلحاد، وهي الأخطر والأهم على اعتبار البيئة العربية بيئة مُتدينة، وبالتالي سوف تفعل فعل النار في الهشيم[٣٥] وعانت الإسماعيلية عبر مراحلها التاريخية- سواء خلال مرحلة سقوط دولتها الأولى، أو خلال مرحلة قيام الدولة الصليحية وسقوطها وانتقال الدعوة إلى الهند وإقليم نجران- من أزمة في المواطنة. ولا شك أن اليمن، كغيره من بلدان العالم الإسلامي، بلد متنوع الأطياف، وهذه الحقيقة تفرض علينا، نحن اليمنيين، أن نفهم حقيقة ما تمر به اليمن، وما تعرضت له من مؤامرات، بشكل يتطلب تقبل الرأي الآخر على أسس المواطنة والتعايش السلمي وقبول الآخر، وضرورة الاتفاق على ما نتفاهم عليه، والحوار على ما لا نتفاهم عليه بعيداً عن العنف. ومن هنا تتطلب الوطنية أن نحتكم إلى العقل (الحكمة) والإيمان، وكما قال المفكر جون ديوي: "إن عدم العنف هو التحرر من الخوف"؛ ذلك أن العنف ليس سوى الوسيلة للصراع ضد سبب الخوف كما قال غاندي، وسبب الخوف هو الخوف من الآخر، وفقدان الثقة بين أبناء البلد الواحد، ومن هنا يجب التفكير بالعدالة في كل ناحية من نواحي الحياة لتحقيق المصلحة الوطنية العليا. وهنا أود أن أؤكد للأطراف الوطنية، أنه لا يمكن تحقيق المصالحة الوطنية على أسس طائفية، أو حزبية، أو إرهابية ترفض الآخر، وتمارس العنف تحت حجج "وطنية"، أو "دينية". فمن غير المعقول أن تلتقي ثقافة العنف بثقافة السلام. ومن الحمق أن نقول إن ثقافة رفض طرف وطني معين طرفاً وطنياً آخر أو إلغائه يهيء الأجواء للتسامح والمصالحة.

(٣٥) انظر الإسماعيلية بين خصومها وأنصارها صـ١٢٦، ١٢٧.

وينبغي أن نفهم أنه ليس من معيار الوطنية حرمان أقلية قومية، أو دينية، أو سياسية من حقوقها تحت طائلة المصالحة الوطنية والثقافية، ولا يمكن تحقيق هذه المصالحة إذا حَرمت السلطة الحاكمة القوى الضعيفة والمهمشة من حقوقها المشروعة، أو رفضت الأغلبية حقوق الأقلية باسم "الوطنية".

حالة الإسماعيلية في اليمن وهجرتهم الداخلية إلى نجران:

يتبع البهرة السليمانيون أو المكارمة خطاً من الوراثة يختلف عن خط البهرة الداؤدية، اعتباراً من الداعي السابع والعشرين وفي ما بعد، أي بعد ولاية ثلاثة دعاة تولوا قيادة الدعوة الطيبية عقب انتقال مقرها إلى الهند عام ١٥٣٩م/ ٩٤٦هـ، وقد خلف سليمان بن الحسن[٣٦] (ت ١٠٠٥هـ) ولده جعفر (ت ١٠٥٠هـ) الذي عاد إلى اليمن، ومُنْذُ تلك الفترة استقر مقر الدعوة السليمانية في نجران. ويطلق السليمانيون العرب على أنفسهم لقب " المكارمة" نسبة إلى

---

(٣٦) سليمان بن الحسن بن يوسف بن سليمان، الداعي الـ ٢٧ من الدعاة المنفردين. وسنتحدث بالتفصيل عن أبيه وجده وأبنائه وذريته وشجرة نسبه كاملة ضمن موسوعة أعلام المهجر، ونكتفي هنا بنبذة مقتضبة عنه:
وهو يعتبر الداعي الرابع من دعاة الهند الذي ابتدـ بجده يوسف بن سليمان والذي به انتهى دور الدعاة من بني الأنف بعد الداعي محمد بن حسين بن إدريس عماد الدين؛ وأما أولهم فقد كان الداعي علي بن محمد الوليد الأنف والذي نذكر نسبه كاملاً لعموم الفائدة حسبما ورد في كتاب منهاج الدين وكتاب جنان الجنان، فهو: علي بن محمد بن أحمد بن جعفر بن الحسن بن يحيى بن إبراهيم الأنف بن أبي سلمه بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن الوليد بن المغيرة بن عمران بن عاصم بن الوليد بن عتبة (أخو هند بنت عتبة) بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب.. إلخ النسب المتصل مع نسب الرسول ص لإسماعيل بن إبراهيم عليهم السلام. حيث نجدهم يلتقون مع بني هاشم عند عبد مناف ومن جاء بعده من آباء الرسول الكرام.
أما كلامنا عن الداعي سليمان بن الحسن فسنجعله في عدة نقاط على النحو التالي:
١ - ولادته ونشأته:
* ولد الداعي سليمان بن الحسن في يوم الاثنين ٢٧ شوال عام ٩٦١هـ في اليمن، حيث تربى في كنف والده الداعي المؤهل غير المنفرد سيدنا الحسن بن يوسف بن سليمان، ووالدته الحرة زينب بنت موسى بن سليمان. ولكن الدهر لم يمهل والده كثيراً حيث وافاه الأجل في الأول من شهر رمضان عام ٩٦٦هـ ودفن بالجورة في طيبة؛ وعمر سيدنا سليمان آنذاك خمس سنوات.
* درس في صغره القرآن، ولما بلغ عمره عشر سنوات درسه جده سيدنا يوسف بن سليمان كتاب "الشهاب في الحكم والأمثال والآداب" وهو من تأليف القاضي الشافعي أبي سلامة القضاعي أحد قضاة الدولة الفاطمية في وقت الإمام المستنصر بالله عليه السلام، وكان قد أهداه للإمام فقبله منه وكافأه عليه. وكانت دراسة الداعي سليمان لهذا الكتاب في يوم الغدير من سنة ٩٧١هـ. واستمر جده في تدريسه حتى انتقاله في ١٦ شهر ذي الحجة عام ٩٧٣ هـ، ودُفن بطيبة باليمن.
٢ - سفره وارتحاله إلى الهند:
* لما بلغ ١٤ سنة ارتحل إلى الهند وبلغه وهو في طريقه إليها انتقال الداعي عبدالجليل بن الحسن إلى جوار ربه حيث كانت نقلته في ١٦ ربيع الآخر من سنة ٩٧٤هـ، ولم يتسلم أمر الدعوة إلا لأربعة شهور فقط بعد الداعي يوسف بن سليمان.
* وصل العلم له بانتقال أمر الدعوة والقيام بها للداعي داؤد بن عجب فارتحل إلى حضرته في أحمد آباد، وفيها أخذ عليه العهد الكريم، وكان ذلك في صباح ليلة القدر من تلك السنة، وكانت تلك هي ولادته الدينية.
* بعد عامين بعدما بلغ السادسة عشرة جدد عليه أخذ العهد وذلك في عام ٩٧٧هـ.
* في الثامنة عشرة من عمره فسحه الداعي لصلاة الجماعة بمحله شيدبور، وكان ذلك في يوم الغدير ١٨ ذي الحجة من عام ٩٧٩هـ. وسيأتي تفصيل حياته ضمن الموسوعة العلمية لعلماء المهجر. (انظر أحداث السنة الفاطمية؛ منشورات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث).

أسرة داعيتهم، في حين يواصل السليمانيون الهنود استخدام تسمية "البهرة السليمانيين". أما عن عدد نفوس السليمانيين فآخر الإحصاءات توضح ارتفاعاً ملحوظاً في أعدادهم، حيث بلغ عددهم في اليمن ونجران ما يقارب١٢٠٠٠٠، بينما يصلون في الهند إلى عشرات الآلاف.

وكان المكارمة مقيمين في "دروم /طيبة"[٣٧]، ولكن الدعوة لم تنتقل إليهم إلا متأخرة، فقد أورد صاحب كتاب "في بلاد عسير"[٣٨] أسماء أربعة دعاة من الهنود قاموا بأمر الدعوة في الهند وطيبة من عام ٩٧٤ إلى ١٠٨٨ هجرية وهم: داوود بن عجب، الذي حصل بعد وفاته انفصال فرقة الداؤدية عن السليمانية، وسليمان بن حسن، وجعفر بن سليمان، وعلي بن سليمان، وحين وفاة الأخير أوصى بالأمر إلى إبراهيم بن محمد بن الفهد بن صلاح المكرمي، فقام بالدعوة في بلدة طيبة مدة ٤٤ سنة، وحين وفاته عهد بها إلى حفيده محمد بن إسماعيل بن إبراهيم فحصل بينه وبين الزيود حرب غُلب فيها فهرب إلى القنفذة[٣٩]، ومنها دعاه إسماعيليو نجران ليكون بينهم، فحضر إلى بلاد نجران، وسكن بلدة بناها وأسماها "الجمعة"، ولكنها الآن خراب.

ومع أن المكارمة غرباء عن نجران، وليس لهم سلطة زمنية (لاسيما إذا أخذنا بعين الاعتبار أن اليامية مؤلفة من ثلاثة فروع، لكل فرع رئيس زمني قوي) فإنهم نجحوا في أعمالهم، وأصبحوا أصحاب الشأن في الأمور الدينية والزمنية، وامتدت فتوحاتهم إلى الأطراف المجاورة، ووصل بعضهم إلى تريم

---

(٣٧) طيبة (همدان) هي إحدى قرى عزلة ربع همدان بمديرية همدانة التابعة لمحافظة صنعاء بلغ تعداد سكانها ٥٥٨ نسمة حسب تعداد عام ٢٠٠٤م (الدليل الشامل- محافظة صنعاء، www.yemenna>com، مديرية همدان؛ الجهاز المركزي للإحصاء بالجمهورية اليمنية).

(٣٨) حمزة، في بلاد عسير؛ ط٢ /١٣٨٨هـ؛ مكتبة النصر الحديثة، الرياض، صـ١٧٤

(٣٩) محافظة القنفذة هي إحدى أكبر محافظات منطقة مكة المكرمة، تقدر مساحتها بحوالي ٧٠٣٢ كم، تُطل غرباً على ساحل البحر الأحمر ويعود تاريخ نشأتها إلى عام ١٣١١م في فترة حكم الخليفة العباسي سليمان المستعلي بالله. (ويكيبيديا؛ الموسوعة الحرة).

حضرموت، وبعضهم إلى أواسط نجد أيام النزاع بين آل سعود وابن دواس وآل مغمر[٤٠].

واحتلت دول الأئمة الزيديين المرتبة الأولى من بين القوى التي شهدت صداماً مع الإسماعيلية في اليمن لتعارض مصالحها السياسية والدينية مع مصالحهم. وكما ذكرنا، فإن انتقال الداعي محمد بن إسماعيل المكرمي إلى نجران كان في عهد الإمام المهدي صاحب المواهب[٤١] (ت ١١٣٠هـ) وصاحب الأطوار الغريبة، وقد وصفه الشوكاني بأنه أول من أخذ الأموال من حل ومن غير حل، ولكن أيضاً المتوكل من قبله كان قد كَفَّر أهالي اليمن الأسفل- كفر تأويل-، وفرض عليهم الأموال الخراجية بدلاً عن الزكاة. وقد ذكر صاحب كتاب "جلاء الأخيار"[٤٢] أن علاقة الإمام المتوكل القاسم بن الحسين

---

(٤٠) انظر في بلاد عسير صـ١٧٤.

(٤١) الإمام المهدي محمد بن أحمد صاحب المواهب (١٠٩٧م-١١٣٠هـ) من أئمة آل القاسم، عارضه الكثير من الدعاة لكنه تمكن من هزيمتهم، وفي عهده كانت فتنة المحطوري في بلاد الشرف، وقد احتط هذا الإمام ثلاث مدن عاصمة لدولته كان آخرها المواهب التي عرف بها وكانت فيها وفاته بعد أن أحكم معارضه المتوكل القاسم الحصار عليه فيها؛ الشوكاني؛ البدر الطالع، ج٢/٣٠-٣٢

(٤٢) من تأليفات سيدنا محمد بن عبدالله بن سليمان صاحب التأليفات الرائقة في التاريخ وفي غيره من العلوم والذي اقتبسه من جميع كتب السير التي كتبت في هذا المجال سواء طيبية أو قائمية وأسماه "جلاء أفكار الأخيار" ووضعه في ثلاث أجزاء:

الأول: يبدأ من سيدنا الذؤيب حتى آخر دعاة بني الأنف سيدنا محمد بن حسين بن إدريس عماد الدين.

الثاني: في سيرة دعاة الهند الستة ابتداء من سيدنا يوسف بن سليمان حتى سيدنا الفيض علي بن سليمان.

الثالث: في سيرة الدعاة من المكارمة ابتداء من جده إبراهيم بن محمد بن الفهد حتى سيدنا إسماعيل بن هبة، ويكون بذلك هذا الكتاب بجميع أجزائه تكلم عن تاريخ الدعوة من عام ٥٢٠ - ١١٨٤ وهي السنة التي انتقل فيها الداعي إسماعيل بن هبة.

وتوصلنا الى أن الجزء الثالث من هذا الكتاب موجود في دار المخطوطات باليمن ولكن مزق أوله وكتب عليه العنوان (تاريخ المكارمة) وهذا اجتهاد ممن لم يروا عنوانه الصحيح كتبوا عليه ذلك، وقد يكون وضعه عليه البعثة المصرية التي زارت اليمن عام ١٩٥١م، وطبعاً التمزيق الذي أصابه بسبب الزيدية لأنه تحدث عنهم وأبان حقيقتهم وما اقترفوه بحق الإسماعيلية وكذلك ما يدعيه الزيدية في أئمتهم من مناقب مزعومة، ويدعم المؤلف فيها كتب التاريخ التي لدى المذاهب الأخرى في اليمن، وهو من الكتب المحرزة إلى يومنا هذا بأمر من الإمام يحيى حميد الدين.

بالداعي هبة الله بن إبراهيم المكرمي كانت جيدة، وأنه كان يستشيره في الكثير من الأمور[٤٣].

غير أن البداية الفعلية لعلاقة الصراع بين المكارمة والأئمة، بوصفهما قوتين، كانت في عهد المنصور الحسين بن المتوكل، فقبيل تقلده لمنصب الإمامة كان الناصر محمد بن إسحاق قد أعلن إمامته، وصارت دولته هي الأقوى بتأييد من بعض قبائل حاشد وبكيل، وحصرت قواته المنصور في صنعاء، غير أن شخصية المنصور ساعدته على الصمود. ثم إن حدثاً كان له الأثر الكبير في ترجيح كفته على معارضه عندما قام الحسن بن إسحاق شقيق الناصر محمد بن إسحاق بالمسير إلى طيبة في شعبان ١١٤٠هـ، وأمر من فيها من المكارمة بإفراغ دورهم، مما أدى إلى استنجادهم بأقربائهم في نجران[٤٤]. وبالفعل لم يتمكن جيش يام المرسل من الداعي هبة الله بن إبراهيم المكرمي من نجدتهم، حيث وصل الجيش وكان المكارمة قد طردوا من طيبة، ولكن الجيش تمكن من السيطرة على بلاد الحيمة وحراز، ووصل إلى صنعاء، وتمكن من فك الحصار الذي ضربته القبائل المناصرة لمحمد بن إسحاق، وسار الجميع إلى طيبة، وما لبث الحسن بن إسحاق أن فر بمجرد دنوّ جيش المكرمي[٤٥]. وبعد أن نصرت قبائل يام المنصور بن الحسين، وبعد أن استتب له الأمر، عزم على إخراج المكارمة مما أقطعهم إياه من أراضي حراز والحيمة، وهو ما حدث بالفعل من إخراجهم من أكثرها في عام ١١٤٣هـ بعد فترة وجيزة من إقطاعهم إياها. ونستغرب موقف الإمام ذاك؛ لأن البلاد التي أقطعها لهم هي في الأصل من المناطق التابعة للدعوة الإسماعيلية تاريخياً، فهو لم يقدم فضلاً منه وإنما

(٤٣) انظر: جلاء الأخيار مخ ١٤أ.
(٤٤) جلاء الأخيار مخ ٩٨-٩٩ أ.
(٤٥) انظر: إسماعيلية اليمن المكارمة صـ١١٠.

أعاد حقاً كان مسلوباً منهم[٤٦]، وأدى هذا الفعل إلى تأجيج الصراع، وخروج المكارمة من يام إلى نجدة إخوانهم. ونستبعد تلك الأحداث الملفقة على المكارمة من قيامهم بنهب مدينة بيت الفقيه في يام، وترجع تلك المصادر إلى المناوئين للإسماعيلية ولا يُعتد بها. وتذكر المصادر الإسماعيلية أن الداعي دفع عن أخيه كل سوء وفك الحصار، وأنهم لم يرحلوا عن طيبة إلا بعد أن جرى بينهم صلح وبين الإمام أعاد بمقتضاه ما قطعهم، ووعدهم بإعادة طيبة وإعادة ما أخذه من أموال[٤٧]، وتوالت الصراعات بين الفريقين، وكانت بالنسبة للإسماعيلية مواقف دفاعية وحماية للنفس، بينما كانت لأئمة الزيدية حروب إبادة جماعية ضد الإسماعيلية، واستطاعت الإسماعيلية خلال مراحل الصراع من الصمود، وفي بعضها كانت لهم غلبة، كما حدث في قتل الناصر عبدالله بن الحسن على أيديهم، الذي وصفه القاضي محمد بن علي العمراني في كتابه "إتحاف النبيه بتاريخ القاسم بن محمد وبنيه"، فأشار إلى أنه كان ممن يقوم باستلاب مال الخلق، ولا يجيب إن دعيت لنزاله، ولا يبرز إن اشتد المراس، وغير ذلك مما يوضح حقيقة ما كان عليه الناصر[٤٨].

وتوضح المصادر أن قتل الناصر لم تقم به الإسماعيلية لوحدها فقط، وإنما انضمت إليها بقية همدان من الزيدية[٤٩]؛ وكان أهم أسباب مقتل الناصر هو الأذى الذي أصاب الإسماعيلية وأهل الدعوة على يد الناصر، فقتلوه بمساندة الدعوة من يام، وقال العمراني عن مقتل الناصر: "إن مقتل الناصر يوم عيد للمسلمين"[٥٠].

---

(٤٦) انظر: البراهين المضيئة مخ ٨أ، ب.
(٤٧) انظر: جلاء الأخيار مخ ١٣٥أ.
(٤٨) تنظر: إتحاف النبيه مخ/٣٦أ.
(٤٩) حوليات يمانية صـ٩٥.
(٥٠) انظر: مائة عام صـ٢٨٧، هامش.

وعن علاقة الإسماعيلية بالدولة السعودية الأولى والثانية لا يمكن أن يشتمل بحثنا على هذه الأحداث، ولكن يجب إفراد بحث كامل يتناول تلك العلاقة والتحولات التي ساعدت في بقاء الإسماعيلية في نجران وبلاد يام واستمرارهم حتى يومنا هذا.

ومن ناحية أخرى، فإن الممارسات التي اتبعها الأئمة الزيديون كانت السبب الرئيس في تهجير ونفي أعداد كبيرة من الإسماعيلية إلى الهند الشرقية، حيث أدت الممارسات القمعية، وحروب الإبادة التي وجهت ضدهم إلى قيام قيادات الإسماعيلية بنقل التراث الإسماعيلي إلى الهند، حيث قام الزيديون بحرق وتدمير كل موروثات الإسماعيلية في اليمن، وسيأتي تفصيل ذلك لاحقاً.

إن تحديد سنة بعينها تاريخياً لانتقال المكارمة إلى نجران من المسائل التي يصعب البت فيها؛ لتباين المصادر في ذلك كتباينها في تحديد اسم أول شخص منهم سكن نجران، فمن قائل إن محمد بن الفهد المكرمي كان أول من استقر فيها، وكان مقامه في بلدة بدر[٥١]؛ أما بقية المصادر فتكاد تجمع على أن أول من انتقل إلى نجران هو الداعي محمد بن إسماعيل المكرمي، وكانت فترة تزعمه للدعوة ما بين (١٠٩٤-١١٢٩هـ/ ١٦٨٣-١٧١٧م)، أي أن جل فترته عاصرت إمامة المهدي صاحب المواهب[٥٢] (ت ١١٣٠هـ). ومن خلال الأحداث التي أوردها المؤرخون الإماميون عن تاريخ الإمام المهدي، لا نجد ذكراً لخصامه مع الإسماعيلية أو حربهم، ولا نجد إلا حدثاً واحداً وجه فيه المهدي حملاته ضد قبيلة همدان الصغرى التي يقطن المكارمة إحدى مناطقها، لما أعلن الشيخ جابر بن خليل الهمداني العصيان إثر الخلاف الذي جرى بينه

(٥١) انظر: إسماعيلية اليمن السليمانية المكارمة، صـ٧٦؛ فليبي؛ مرتفعات الجزيرة العربية ج٢؛ صـ٦٨٣؛ الوصال، تاريخ عسير.

(٥٢) سبق التعريف عنه.

وبين الإمام، وانتهى ذلك العصيان بقتل ابن خليل وهزيمة أعوانه. والملفت للنظر في هذه الأحداث هو إجلاء الإمام المهدي لهمدان عبر البحر إلى الهند والصين بعد أن تخربت ديارهم، وهي الطريقة ذاتها التي رحل بها محمد بن إسماعيل المكرمي.

وبالرجوع إلى ما أوردته المصادر فإن جميعها تؤكد أن انتقال الداعي محمد بن إسماعيل المكرمي إلى نجران كان على إثر خلاف طرأ بينه وبين الإمام المهدي صاحب المواهب لأمور أنكرها على طائفته، فقام بإخراجه من طيبة ومعه أتباعه من الطائفة، لكن تختلف تلك المصادر في تحديد ذلك التاريخ، ومنها أن ذلك كان في عام ١١٠٩هجرية/ ١٦٩٦-١٦٩٧م.

وتأتي رواية أخرى إسماعيلية مفادها أنه في العام ١١١١هـ جرى خلاف بين محمد بن إسماعيل المكرمي وبين شريف يدعى مطهر، مقره في صنعاء، أسفر عن ترحيل محمد بن إسماعيل المكرمي من طيبة ومعه بعض من خواصه عبر ميناء عدن إلى ميناء مصوع في الحبشة، وعند وصولهم هنالك هَبَّت ريح أعادتهم إلى عرض البحر ثم إلى عدن، ليأمر الشريف مطهر مجدداً بترحيلهم، وعند رحيلهم هَبَّت ريح للمرة الثانية وقذفت السفينة إلى ميناء القنفذة حيث نزل الداعي وصحبه وساروا مشياً دون إخبار ربان السفينة عن وجهتهم التي لم تكن سوى نجران(٥٣)، وقد ذكر صاحب كتاب جلاء الأخيار قصة مشابهة، خلا أنه ذكر المهدي صاحب المواهب عوضاً عن الشريف مطهر، ولم يحدد سنة رحيل الداعي محمد بن إسماعيل(٥٤).

وقد استقر الداعي محمد بن إسماعيل المكرمي في بلدة اسمها "الجمعة" هي الآن بلدة خربة، وتكاثر المكارمة الوافدون واستقروا في بلدات عدة بنجران

(٥٣) انظر: إسماعيلية اليمن السليمانية، صـ٧٨.
(٥٤) انظر: جلاء الأخيار (ق ٢٥ أ).

أشهرها بدر، المركز الديني المهم للطائفة، وتقع في وادي حبونا شمال وادي نجران على حدود عسير. ومن البلدان الأخرى التي سكنوها، خشيوة وسهلة، وعلو المخلاف، وقصور شعيب، وبران.

وتعاقب الدعاة في نجران، وبخلاف ما جرى عليه الطابع السيادي في الخلافة، فإنه مُنْذُ تسلم المكارمة للدعوة لم يخلف ولد أباه إلا في حالتين، عندما خلف إسماعيل بن هبة الله والده، والحالة الأخرى الحسين بن أحمد وولده علي بن الحسين، وما عداهما فإن الدعوة كانت تنتقل أحياناً من الأب إلى الحفيد، أو من أخ إلى أخيه، أو من داع إلى داع آخر من فرع يبتعد في نسبه عن سابقه إلى ثلاثة أو أربعة أنسال، وأبعد من ذلك فإنها قد تخرج من أسرة المكارمة إلى غيرها، كما حدث بتولي الحسن بن إسماعيل شبام(٥٥)، من إسماعيلية حراز، وعلي بن محسن شبام (الداعي الـ٤٦) المهاجر إلى نجران لاحقاً، كما أنها- أي الدعوة- قد تخرج إلى أحد الهنود، كما حدث بتولي غلام حسين بن فرحات الهندي(٥٦)، وعلى الرغم من أنه لم يكمل السنة حتى توفي، فإن الأمر قد حمل دلالة كبيرة بشأن ربط إسماعيلية الهند السليمانية باليمن وبث الشعور في أوساطهم بأن لهم مكانتهم وذلك بتولي أحدهم منصب الداعي المطلق(٥٧).

---

(٥٥) الحسن بن إسماعيل شبام الداعي الـ(٤٢) عند السليمانية، وهو من إسماعيلية حراز تولى الدعوة عام ١٢٦٢هـ، ووسع من نطاق دولته في حراز إلى ما حولها من مناطق الحيمة وفي غيرها من المناطق وذلك بمساندة المكارمة ويام له، وقد سيطر الأتراك على دولته واقتادوه أسيراً إلى الحديدة حيث مات فيها بعد أن كانوا أزمعوا على إرساله إلى إسطنبول وذلك عام (١٢٨٩هـ)، انظر: إسماعيلية اليمن المكارمة، صـ٨٥/ هامش٥

(٥٦) غلام حسين الهندي الداعي الـ(٤٧) عند السليمانية قام برحلتين إلى اليمن قبل توليه الدعوة الأولى عام ١٣٠٣هـ والأخرى عام ١٣٢٧ هـ؛ انظر: Daftary The Ismail's their History and Doctrines p321

(٥٧) أحدث هذا الانتقال عقب حالة طارئة بعد أن شهدت نجران حرباً بين دولة الإمام يحيى حميد الدين وبين آل سعود حول السيطرة على نجران وما قام به الجيش الإمامي من الاستيلاء على نجران ودخول بدر مركز الدعوة (انظر: إسماعيلية اليمن المكارمة، صـ٨٥).

وبخصوص تسمية دولة المكارمة من عدمها في نجران، فنحن لسنا بصدد دراسة ذلك، ولكن المهم أن سلطة المكارمة تمتعت بمقومات تكاد تكون مقومات الدولة من التنظيم الإداري والعسكري، وتشكل جيش، والمكان الجغرافي أيضاً. والمهم في الأمر أن، إسقاطنا لتلك المقومات يؤكد لنا أن نجران منطقة مستقلة لا تخضع لغير المكارمة، كما أن نفوذهم تعدى ذلك إلى مناطق مخالفة في حراز وعراس، والعدين، وهمدان الصغرى، ولهم نواب عنهم في تلك المناطق.

وبالنسبة للجيش، فقد توفر للمكارمة جيش من رجال يام الذين اشتهروا بقوتهم وصلابتهم في الحروب، وعلى الرغم من أن سلطة المكارمة كانت دينية في الأصل، فإن الطابع السياسي فيها كان واضحاً، وهذا يجعلها مشابهة إلى حد ما لسلطة الأئمة الزيديين التي اعتمدت أصلاً على الطابع الديني. وقد يكون الهدف منها تكوين سلطة سياسية هدفها تكوين دولة لها مقوماتها وفقاً للمنظور الإسماعيلي للدولة التي توجب اعتلاء الزعيم الديني قمة الهرم السياسي لها ممثلاً بالإمام أو من يقوم مقامه وهم الدعاة.

وكذلك فقد صاغ المكارمة العديد من المواثيق مع القوى التي احتكت بهم مثل الأئمة، وأشراف (أبو عريش)، والدولة السعودية، ومحمد علي باشا، وقادوا جيوش يام في حملاتهم الكثيرة، وقاموا بتوزيع دعاتهم في كل مناطق طائفتهم، وهذا ما نلاحظه بانتشار المكارمة في جميع مناطق الإسماعيلية في اليمن.

أما الأموال فكانت تصل إلى خزانة الدعوة من مصادر متعددة من الزكوات والخمس وغيرها من أتباع الطائفة، ومن المحاصيل التجارية والزراعية التي كانت تديرها الطائفة في اليمن، وأهمها محاصيل زراعة البُن، إضافة إلى

الأموال التي كانت تُسلم من قبل الأئمة، وأشراف أبو عريش، والتي تُعد مصادر أخرى أيضاً.

وبهذا فإن مقومات الدولة كانت آنذاك مقياساً لتسمية قوة ما بها، فقد توفرت جميعها في سلطة المكارمة على قبائل يام ونجران، ولهذا نجد كثيراً من المؤرخين المعاصرين لبعض الأحداث التي دونوها في كتبهم كانوا يطلقون على الداعي الذي عاصر فترتهم ألقاباً، مثل "حاكم نجران"، أو "سيد نجران"، أو "صاحب نجران"، وهي ألقاب غالباً ما كانت تطلق على من كانوا يحكمون دولة مستقلة.

ونظراً للمعطيات التي تُقدمها لنا المصادر، فإننا يمكن أن نُسمي سلطة المكارمة بـ"السلطة السياسية الدينية القبلية"؛ حيث تمكن المكارمة من صهر تلك السلطات الثلاث إبان حكمهم لقبائل يام الذي استمر قرابة ثلاثة قرون.

وهنا نورد ما قاله فليبي، عندما تخيل بلدة بدر في أيامها الخوالي، وذلك بعد أن وصل إليها ورأى حالها في عصره بقوله: "لا بد أن تكون بدر في أيام أوجها في عصر المكارمة مركزاً ذا أهمية عالية وعظيمة حكماً بما يشهد عليه ما تبقى من قصورها ومبانيها والفلل ذات الحدائق"(٥٨).

ويمكن القول أيضاً إن أول هجوم للدولة السعودية تم على نجران حدث عام ١٢١٠هـ بقيادة مبارك بن هادي قرملة رئيس قبيلة قحطان، واقتصر هجومه على بدو نجران، ويبدو أنه كان مجرد جس لنبض قبائل يام؛ لأنه لم يصل إليهم واقتصر على البدو الساكنين في أطراف نجران، وكان أول هجوم وصلت قوات السعوديين إلى قرى نجران عام ١٢١٥هـ عندما بعث عبدالعزيز بن محمد آل سعود حملة اصطدمت مع الياميين في نهوقة على بعد ثلاث مراحل

(٥٨) انظر: فليبي؛ مرتفعات الجزيرة العربية، ج٦٧٩/٢.

من نجران، حيث دارت رحى الحرب بين الطرفين، واستمرت أياماً استطاع السعوديون إجبار يام على التراجع إلى قرب بدر، مركز الداعي عبدالله بن علي المكرمي[٥٩]، وبدت هزيمتها وشيكة إلا أن القوات التي جاءت لدعمها غَيَّرت مسار الحرب حيث تم إلحاق الهزيمة بالسعوديين[٦٠]. وتوالت المواجهات بين الطرفين في عدة مواقع أهمها هجوم السعوديين على نجران عام ١٢٢٣هـ الذي انتهى بانتصار الإسماعيلية وهروب جيوش السعوديين. وكانت أهم عوامل انتصار المكارمة ويام تتمثل في:

- تحصن قبائل يام في قلاعهم، التي يسمونها بـ"الدروب" المبنية من الطين ومن الحجارة، تلك القلاع التي أوقفت هجوم السعوديين أكثر من مرة، وقد أدرك الآخرون ذلك، وهذا ما دعاهم إلى بناء حصنين للغرض ذاته مما أتاح لهم فرصة البقاء لفترات طويلة.
- شدة مراس أهل نجران الذين عرفوا به في خارج بلادهم، وكانوا أشد مراساً في بلادهم لأنهم أدرى بطبيعتها وبمسالكها، ثم إنهم يعلمون ما تعقبه الهزيمة من إذلال لهم، وهذا ما كان يجعلهم يستبسلون في القتال.
- الخطط الحربية التي اتبعها المكارمة أثناء المعارك وحسن توجيههم ليام، مما أدى في نهاية الأمر إلى النصر.

وأدت هزائم السعوديين في نجران إلى إعاقة توسعهم في بلاد اليمن الجبلية ومن ثم امتداد قواهم في مناطق تهامة[٦١].

---

(٥٩) الداعي الـ ٣٧ من دعاة الفرقة السليمانية (صحيفة الصلاة السليمانية، صـ٧١٥).
(٦٠) انظر: درر نحور الحور، صـ٧٥٤.
(٦١) انظر: إسماعيلية اليمن السليمانية، ص٢٢٢.

ولا يمكن إغفال دور العجمان وآل مرة[٦٢]، حيث يرجع المهتمون بأنساب القبائل نسب العجمان إلى علي بن هاشم من ولد هبرة بن الغوث بن الغز بن مذكر بن يام، وقد غلب على لقب عجيم لوجود عجمة في لسانه[٦٣]، أما آل مرة فهم من أبناء جشم بن يام، وكانت مساكنهم مع أبناء عمومتهم في نجران، ثم نزحوا إلى نجد في حدود عام ١١٣٠هـ[٦٤]، وأشار صاحب "لمع الشهاب" إلى أن العجمان حلوا نجداً مُنْذُ مائة سنة، ويمشون في أي موضع شاؤوا منها لقوتهم وشجاعتهم[٦٥]، وقال فؤاد حمزة عن آل مرة: "من أقدم القبائل العربية وأصحها نسباً، وأشدها مراساً، وأكثرها همجية، وأبعدها عن الحضارة"[٦٦].

وقد اتسمت علاقة العجمان وآل مرة بالسعوديين بعدم الثبات، فحيناً تراهم ضمن جيوش السعوديين التي كانت تسير إلى أكثر من مكان في الجزيرة العربية، ثم فجأة يناصبون السعوديين العداء. وكان للعجمان حروبهم الشديدة مع حكام الأحساء آل عريعر، وكان الخاسر فيها الأخيرون، وأشهرها حرب الرضيمة عام ١٢٣٨هـ، حيث انتصر العجمان وتمكنوا من بسط يدهم على الأحساء، وقد سارع رجال يام في مد يد العون إلى إخوانهم العجمان في هذه الحرب وقاتلوا إلى جانبهم[٦٧].

شكَّل الإسماعيلية السليمانية في اليمن امتداداً لمن سبقهم من أسلافهم من الإسماعيلية في الفكر والسياسة، وفي انتهاج السرية، والعمل الدؤوب على إعادة مجد ما مضى. فعقب تولي أسرة المكارمة للدعوة بعد أكثر من مائة عام

---

(٦٢) آل مرة أو بني مرة قبيلة عربية يقيمون في السعودية وقطر والإمارات العربية المتحدة والكويت والبحرين وحضرموت ومصر ويتمركز تواجدهم في السعودية وقطر.
(٦٣) انظر: إمتاع السامر، صـ٤٩١.
(٦٤) انظر: رحلة عبر الجزيرة العربية، صـ٢١٠.
(٦٥) انظر: لمع الشهاب صـ١٢٦.
(٦٦) انظر: قلب جزيرة العرب صـ٢٠٢.
(٦٧) انظر: إسماعيلية اليمن السليمانية صـ٢٢٣.

من تولي دعاة هنود لها، أعادت لإسماعيلية اليمن مكانتهم، وقد كان انتقال الداعي محمد بن إسماعيل المكرمي إلى نجران حجر الأساس الأولى لتكوين سلطة إسماعيلية قوية. فبعد أن استقل بها استمر حلفاؤه على الحفاظ على ذلك الاستقلال، وزادوا عليه إخراج جميع مناطق أتباعهم في اليمن عن سلطة الأئمة الزيديين.

صار المكارمة قوة تُهاب، ليس في اليمن وحسب بل في الجزيرة العربية لما تُقدمه قبيلة يام من تعزيز لسلطتهم، فكانت أولى القوى التي احتكت بهم- وكما هي العادة في تاريخ الإسماعيلية في اليمن- الزيدية ممثلة بآل القاسم، وجرت بينهم معاهدات وحروب، وصيغت بينهم مواثيق كانت تعطي المكارمة المزيد من النفوذ والسيطرة في اليمن. ونتيجة لما بلغته سلطة المكارمة من قوة فقد مارست الضغط على قوة الأشراف آل خيرات في المخلاف السليماني، وجرت بينهم وبين الدولة السعودية الأولى حروب كانت تزيد من قوة المكارمة، وتؤكد على أن قدرتهم الحربية لا يُستهان بها.

ومع ذلك كله فقد أمضى المكارمة في نجران السنوات الطويلة وهم يكافحون في سبيل تكوين دولة إسماعيلية، لكنهم وسط تراكم الأحداث وتسيير الحملات وإنشاء علاقة مع قوة وأخرى، فقدوا الكثير من الزمن دون أن يحققوا غايتهم المنشودة، على الرغم من أن المكارمة لم يتوانوا لحظة في سبيل ذلك.

امتداد نفوذ المكارمة إلى مناطق الإسماعيلية الخاضعة لحكم الأئمة الزيديين:

وَجَّه المكارمة نشاطهم نحو مناطق الإسماعيلية الأخرى في همدان الصغرى وحراز، وعراس، والمزاحن، مستهدفين إخراج تلك المناطق عن سلطة الأئمة الزيديين. وكما رأينا في ثنايا البحث، الزمن الطويل والصراع المرير الذي خاضوه ضد الأئمة في سبيل تثبيت سيطرتهم عليها، ومما يلاحظ على ذلك

الصراع أن حراز كانت صاحبة النصيب الأوفر من اهتمام المكارمة أكثر من المناطق الإسماعيلية الأخرى، ولعل ذلك يرجع إلى عدة عوامل أهمها:

- ❖ المكانة الرفيعة التي يكنها الإسماعيلية جميعهم لحراز، فقد شهدت الانطلاقة الأولى لأشهر دول الإسماعيلية في اليمن الدولة الصليحية، وكذلك فإن التراث الفكري من مؤلفات الإسماعيلية التي تمتلئ بها حصونها لا توجد بهذه الكثرة في غيرها(٦٨).
- ❖ حصانتها التي أعاقت الكثير من محاولات الأئمة استردادها في ما بعد.
- ❖ البعد النسبي عن صنعاء عاصمة الدولة القاسمية مقارنة بمناطق الإسماعيلية في همدان الصغرى، ومحاذاة بلاد حراز لتهامة التي كانت الطريق المعتاد لمسير أيام إلى حراز، مقارنة ببعد عراس عن تهامة.
- ❖ وأخيراً زراعة البن في حراز الذي يتوفر بكميات كبيرة، خلاف بقية مناطق الإسماعيلية، وما يقدمه ذلك المحصول النقدي من دخل كبير(٦٩).

حالة الإسماعيلية في الهند وبلدان المهجر:

إن ما مارسه الأئمة الزيديون من ممارسات اضطهادية ضد أتباع الإسماعيلية تجب معاينته على أساس من السياق السياسي المحلي لليمن، فقد مرت اليمن بمرحلة مهمة خلال حكم الدولة الصليحية، وكان للدولة الصليحية الأثر الكبير في إعمار اليمن وتطوير البنية التحتية بشكل غير معهود، والآثار الباقية أكبر دليل على هذا الإعمار الذي حاولت الدويلات التي لحقتها غمره ونسيانه.. ومن أهم تلك المعالم العمرانية بناء الجامع الكبير المقدس، الذي جرى استحداث الجانب الشرقي كاملاً بأمر من السيدة الحرة أروى بنت أحمد

(٦٨) انظر: عيون الأخبار، السبع السابع، صـ١١، مقدمة المحقق.
(٦٩) انظر: إسماعيلية اليمن المكارمة، صـ٩٢.

الصليحي، كما أننا نجد أن تعبيد الطرق لم تعرفه اليمن بشكله الحديث إلا في إطار حكمهم من الدولة الصليحية، ومن ذلك مثلاً طريق نقيل السياني وغيرها من الطرق، كما أمرت السيدة الحرة أروى بنت أحمد الصليحي ببناء صهاريج في عدن وما يجاورها، وكانت ثمانمائة صهريج، المتبقي منها حالياً ثمانون صهريجاً فقط، وهذا نموذج عن حالة الإعمار التي شهدتها اليمن خلال مرحلة حكم الدولة الصليحية.

هذا أدى إلى شعور الأئمة الزيديين بضرورة القضاء على هذا التراث العظيم والعمل على تغييبه، وتمت كتابة التاريخ بطريقة مختلفة تتناسب مع أهواء الحكام.

وفي إطار محاولات الزيود إخفاء معالم الدولة الصليحية، توجهت سياساتهم نحو الإبادة الجماعية لهذه الجماعة من خلال الحملات العسكرية المتتالية نحو القضاء عليهم، وهذا أدى إلى نزوح أعداد كبيرة من الأسر الناجية في محاولة منهم للهروب من هذا الواقع المؤلم، وكانت المناطق التي تم التوجه منها محدودة للغاية، ويمكن حصرها في المناطق المحلية الآتية: منطقة عراس ونجران.

وبالنسبة للهجرة الخارجية، كانت الهند هي موطن قدم للمهاجرين الإسماعيليين اليمنيين، فقد كانت هي الملاذ الآمن لهم، ولذا انتقل إليها العديد من الأسر، خصوصاً تلك الإسماعيلية الداؤدية، وكانت كجرات هي أول المستوطنات للطائفة الإسماعيلية، وأما معظم أتباع الدعوة الإسماعيلية السليمانية فقد توجهوا نحو منطقة نجران، حيث هدفوا من خلال ذلك النزوح النجاة بحياة من تبقى، ومحاولة إنشاء دولة محايدة في تلك المنطقة الآمنة، مدفوعين على العموم بأمل الحصول على حياة أكثر أمناً وازدهاراً.

وخضعت الدعوة الإسماعيلية لقيادة متصلة من "الدعاة المطلقين" الذين أقاموا في اليمن، ثم تحولوا إلى الهند عام ٩٤٦ هجرية، حيث كان للجماعة جذور تعود إلى القرن الخامس. وعلى الرغم من التاريخ المضطرب إلى حد ما، فإن الجماعة الهندية تمكنت من البقاء والانتعاش، ثم انتشرت تدريجياً لتشتمل على شتات في مختلف أرجاء العالم. وما أهدف إليه هنا هو تحليل تاريخي، لا أنثروبولوجي أو إثنولوجي، يتناول الكتلة الأساسية من الإسماعيلية المستعليين الطيبيين وهم البهرة الداؤدية، والسليمانية، والعلوية. وللبهرة توصيف فريد بين الملل المسلمة، وسيقوم هذا التحليل التاريخي بإلقاء الضوء على الطريقة التي من خلالها حافظ البهرة على تماسكهم وحماستهم كجماعة اتصفت بثقافة ذات نزعة طقوسية تقليدية مميزة وفكر تحديثي إيجابي متلائم، وسيوضح كيف أن قادتهم الدعاة كانوا القوة الدافعة في توجيه مصير الجماعة وتطور نشأتها في أزمنة متغيرة.

كان القرن التاسع عشر بدايةً لفصل جديد في تاريخ الإسماعيلية اليمنيين في الهند، فقد آذن بحلول فترة من السلم النسبي للدعوة، نجم بصورة أساسية عن إقامة السلطة البريطانية في الهند، عقب سنوات طويلة من اضطهاد الحُكام السُنة لهم. وبعد سنوات عدة من عدم الاستقرار، تم إنشاء مركز جديد في سورات أُتخذ مقراً لقيادة الدعوة، وكانت سورات مركزاً تجارياً في غجرات التابعة لسيطرة "شركة الهند الشرقية البريطانية" مباشرة، وقد وفَّرت الحماية من الاضطهاد الديني وفرصاً مالية متزايدة أيضاً، يضاف إلى ذلك الدور الكبير الذي لعبه دعاة الطائفة الإسماعيلية في الهند من إصلاحات ذات الأثر الدائم وإرساء بنية تحتية صلبة ومتجددة للدعوة، فمنحها ذلك عزماً جديداً في جميع المجالات الدينية، والإدارية، والثقافية، والأدبية.

لقد تأثر الإسماعيليون كمواطنين هنود في الفترة العصرية بالأحوال السياسية والتوجهات العقائدية المتغيرة، بما في ذلك الوجود البريطاني في الهند، واستقلالها وتقسيمها، والحكومات التي قادتها الأحزاب السياسية المختلفة، والتقدم التقني الثوري للتحديث، والحركات الأيديولوجية، كحركة تحرير المرأة، وفرص تعليمية أشمل، وحقول عمل وتقنيات جديدة في مجال الأعمال. وكان التحكم باستجابة الجماعة والانطباع الذي تركته المؤثرات الخارجية عليها وتفاعلها معه من اختصاص الدعاة ومناصيبهم. وعلى العموم، فإن الانفتاح على التطورات الخارجية الإيجابية يدل على ثقة بالنفس، وسياسة من التسامح والديبلوماسية يمكن ملاحظتها في علاقات الدعوة مع الآخرين، وتوافقها مع قوى اجتماعية وسياسية وأيديولوجية جديدة، وربما معادية، مهّدت الدرب للتعامل مع تحديات جديدة طرحها العالم العصري بدرجة مهمة من النجاح.

وتكشف دراسة مُعمقة للإسماعيلية أن تفسيرهم الخاص للشريعة الإسلامية، باعتبارها تصلح بصورة أساسية لكل العصور، وفلسفتهم القائمة على الفكر وأخلاقياتهم المتصفة بالانفتاح العقلي، وتقاليدهم في الأعمال، وأخيراً بنيتهم التنظيمية المتمركزة على الداعي وتماسكهم، قد ساهمت كلها في تسهيل عملية تبنٍّ فريدة للحداثة وتوافق معها. إن أسلوب الحياة والنظرة اللتين توجههما الأعمال التجارية قد شجعا تفاعلاً مع ثقافات أخرى وتبني متطلبات التقدم، وكان الاعتقاد الضمني بالعقيدة الفاطمية- التي تؤمن بأن العقل والدين متوافقان بصورة أساسية ويعتمد أحدهما على الآخر، وتدعو إلى وجوب أخذ "الحكمة" من أي مصدر- قد مكَّنهم من اعتناق جميع الإنجازات العلمية للعلوم والتكنولوجيا الحديثة التي لا تتعارض صراحة مع مثاليات الإسلام.

واعتبر دور الداعي في مراقبة استجابة الجماعة للحداثة دون الخروج عن المثاليات الدينية- وهذا اختلاف مستقل في درجة التطابق في قطاعات مختلفة داخل الجماعة لا مفر منه- أمراً حاسماً في تعزيز الأفعال الرشدية التقليدية، وفي توجيه وتصديق ضم الإبداعات الحديثة، وفي وضع المقاييس الموثوقة للتغير والاستمرارية، وأخيراً، لكن ليس أقلها أهمية، في توفير تركيز فعّال للولاء الروحي والتماسك الثقافي(٧٠).

ومن أهم الأسر اليمنية الناجية التي هاجرت إلى الهند أسرة الهمداني التي كان لها نشاط علمي واسع على مستوى الدعوة الإسماعيلية في الهند، وأسست المؤسسة العلمية المشهورة بـ"المدرسة المحمدية الهمدانية"، وسنتطرق لها في مبحث منفصل من هذه الدراسة.

وبالنسبة للبهرة السليمانية في الهند، فإن تسيير شؤونهم يعود إلى ممثل الداعي المعروف باسم "المنصوب" والمقيم في فادودارا (بارودا سابقاً في ولاية غجرات)، ويوجد بهرة سليمانيون يعيشون في حيدر آباد (دكن)، وأحمد آباد ومومباي، ولديهم مركز في مومباي يُعرف باسم بدري باغ.

كما توجد جماعة صغيرة منهم في باكستان، ويبدو أن للجماعة خارج منطقة نجران - حراز اتصالات قليلة مع الداعي، وأن التعاملات بين السليمانيين الهنود واليمنيين محدودة، فاليمنيون يختلفون كثيراً في أسلوب حياتهم وثقافتهم عن الهنود. وقامت الجماعة السليمانية الهندية بالإضافة إلى ذلك بالنأي بنفسها ثقافياً تدريجياً والابتعاد عن جذورها الغجراتية، ويتكلم أفرادها اليوم الأوردية بصورة مشابهة لأكثرية المسلمين الهنود. ومن الأسر البارزة عند البهرة السليمانيين أسرة طيبجي، من القرن التاسع عشر وأوائل العشرين، التي ينتمي

(٧٠) انظر: تاريخ الإسماعيليين الاستمرارية والتغيير، صـ٣٧٤ .

إليها محامٍ هندي مسلم، هو بدر الدين طيبجي، والباحث الإسماعيلي المشهور آصف علي فيضي (١٨٩٩- ١٩٨١م). وكانت أسرة طيبجي تدعو إلى هدفين "تقدميين" هما: تعليم حديث (وخاصة اللغة الإنكليزية) لكلا الجنسين، والتخلي عن ارتداء الحجاب. لكن لا يبدو أنهم حققوا اليوم تقدماً كبيراً في المجال التقني[٧١].

كما يوجد البهرة العلويون، المشهورون شعبياً بـ"البهرة العلوية"، وهم يتبعون خطاً مختلفاً أيضاً عن خط البهرة الداؤديين مُنْذُ زمن الداعي التاسع والعشرين وفيما بعد ذلك، أي بعد عهد داعيَيْن من فترة الانشقاق عن السليمانيين، واكتسبوا تسميتهم إلى الداعي علي شمس الدين بن إبراهيم[٧٢] (ت ١٦٣١م/ ١٠٤١هـ) - وهو من سلالة إدريس عماد الدين، وأول يمني يترأس الدعوة الداؤدية - وأطلقوا على أنفسهم لقب "العلويين"، وعلى دعوتهم "الدعوة العلوية الهادية"، وبعد عهود ثلاثة دعاة، أي في العام ١٠٩٠هـ، انتقل مقر الدعوة العلوية من أحمد آباد إلى فادودارا التي بقيت مقراً لقيادة الدعوة العلوية حتى يومنا هذا، (وسنتحدث عن تأثيرهم وتأثرهم لاحقاً).

وقد هاجر بعضهم من اليمن، وكذلك من الهند إلى الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا والشرق الأوسط، وأكثرهم يعملون في التجارة، ويهيمنون على سوق البصريات في فادودارا، ولهم أنشطة في مجالات كالحقوق، والطب، وعلوم الحاسوب. أما عاداتهم، ومعتقداتهم، وهرمية (حدود) دعوتهم فمشابهة لتلك التي للبهرة الداؤديين، بما في ذلك الميثاق[٧٣] أو العهد"[٧٤]، واللغة (لسان

(٧١) انظر: ثيودور ب. رايت "النسب الإسلامي والحداثة: عشيرة طيبجي في بومباي" في امتياز أحمد، الأسرة والنسب والزواج بين المسلمين في الهند (نيودلهي ١٩٧٦)، صـ٢١٧- ٢٣٨.

(٧٢) انظر: الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم، صـ٤٧٩.

(٧٣) العهد: نص يقرأه المستجيب وعلى أساسه يعتنق المذهب الإسماعيلي ويقسم على كتمان سر الدعوة وعدم انتشار علومها وطاعة إمام الزمان الذي يطلع فيها على أعماله (منتزع الأخبار مج٢/ صـ٢٢).

الدعوة)، وطراز اللباس.[٧٥]

تقاليد الإسماعيلية في التعليم[٧٦]:

يعد التعليم الديني مطلباً أساسياً لا غنى عنه، وبالتالي هَمَّاً أساسياً للدعاة، فقد شَكَّل تاريخياً أولوية ووسيلة لتعزيز المكانة الروحية للداعي، ولديمومة التراث الأدبي الغني للدعوة وتقوية الروابط الدينية، فأقدمت الدعوة على إنشاء المرافق المتنوعة للتعليم الديني، بما في ذلك نظام المدرسة، وتقاليد الوعظ العريقة المعروفة "بالمجالس"[٧٧] التي استمرت عبر العصور بلا انقطاع، أما عن أدب الدعوة والتعليم فسنناقشه لاحقاً ونوضح هيكلية الدعوة التنظيمية.

كان للبهرة اليمنيين الدور الكبير في ابتداء حملة تطوير أدبية، وكانت الأساس في ذلك المدرسة "المحمدية الهمدانية" التي أسسها سيدي[٧٨] محمد علي الهمداني (١٨٤٤- ١٨٩٨م)، وتابعه في ذلك أبناؤه وأحفاده حتى يومنا الحاضر، وتضمن البرنامج الذي افتتحه تعليماً مكثفاً ومنظماً بصورة دقيقة،

---

(٧٤) لا تفيد المصادر المبكرة بوجود تاريخ محدد لتجديد العهد، وقد ورد في أماكن مختلفة في منتزع الأخبار مج٢ أن تجديد العهد كان يجري في الثامن عشر من ذي الحجة يوم الغدير لما لهذا اليوم من أهمية عند الشيعة الإمامية. انظر:

Ivanow، A cread of the fatimids (Bomby، 1936) 13-17 ; Halm، the isma'ili oath of Allegiance and the "sessions of wisdom" in f. Daftary (ed) mediaeval isma'ili History and thaught،91 -98.

(٧٥) تاريخ الإسماعيليين الاستمرارية والتغيير، صـ٤٤٣؛ للمزيد انظر الموقع الإلكتروني (www.alavibohra.org)

(٧٦) الأيديولوجيا: يُطلق البهرة على منظمتهم الدينية تسمية "الدعوة الهادية" وعلى أنفسهم "المؤمنون"، وتشكل المعتقدات التالية المبادئ الأساسية لأيديولوجيتهم، المبدأ الأول هو الإقرار بوحدانية الله (الذي يعتقد به جميع المسلمين)، فالبهرة يؤمنون بأنه هو الخالق الذي لا يحيط به فكر أو مخيلة، ثم مبدأ أساسي آخر هو الاعتقاد (الخاص بالشيعة) بوجود مرشد روحي (إمام) في كل عصر مهدي بالله ومعصوم وكامل ويقوم بوظيفة الربط بين الله والبشرية، ويستقي نوره من الله ويبثه بين الناس، وأن هذه القيادة مُنْذُ بدء الخلق وتستمر دون انقطاع حتى يرث الله الأرض والسماء وما بينهما، وهي متسلسلة في خط واحد تنتقل من الأب إلى الابن حيث يُعين كل إمام خليفته قبل وفاته، ومن هذا الخط ظهر النبي محمد ص ووصيه علي بن أبي طالب ثم أعقبهما خط من الأئمة كانوا من ذرية محمد ص وعلي (والصلة بينهما هي أمهم فاطمة ابنة النبي محمد وزوجة الوصي علي). (انظر: عقائد الإمامة الفاطمية في الفصل الذي كتبه القاضي النعمان في الولاية في كتابه دعائم الإسلام، تحقيق، آصف فيضي، صـ١٢٠).

(٧٧) من أمثلة ذلك المجالس المؤيدية للمؤيد في الدين هبة الله الشيرازي، والمجالس الحاتمية للداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي وغير ذلك كثير.

(٧٨) سيدي: تعني حرفياً "مليكي" أو "أميري" لكنها هنا لقب دون مستوى "سيدنا" ويمنح لرجال دين أو باحثين بارزين أو أصحاب رتبة في الدعوة.

فوصلت دراسة اللغة العربية مستويات جديدة عالية، وتم تفسير القضايا الفقهية للمعاملات (القانونية) ومناقشتها، وصُنفت الكتب والرسائل التي تناولت مواضيع متنوعة، إلى جانب نظم الأشعار بالعربية واللغات الهندية الأخرى (الأوردو والججراتية)، وكانت هذه المؤسسة التعليمية توازي حالياً الدور الذي تقوم به الجامعة السيفية التي تأسست في بداياتها بجهود حثيثة من الداعي الداوودي عبد علي سيف الدين، والتي كان لها تأثير أيضاً في تنظيم شؤون الدعوة في مجال التعليم.

وفي أعقاب الخلاف الذي نشب حول "نظرية انقطاع النص" في زمن عبدالقادر نجم الدين، تعرضت معاهد الدرس للتهميش، ومن ضمنها "المدرسة المحمدية الهمدانية" التي نعتقد أنه تم التحفظ عليها.

وفي المقابل، نرى تقدماً مهماً تحقق في التربية والتعليم في نطاق الدعوة، وبإدخال نصوص "لسان الدعوة"[٧٩] أصبح تعليم الدعوة في متناول عامة البهرة، وواصلت مؤسسات نظام المدرسة انتعاشها وتزايدت أعدادها بصورة ثابتة خلال القرن التاسع عشر.

وفي القرن العشرين، ومع ازدياد التعليم الديني، بدأت الدعوة رسمياً بتشجيع ورعاية التعليم الحديث غير الديني، وعندما أصبح طاهر سيف الدين[٨٠] (ت ١٣٨٥هـ) داعياً، ازداد عدد مؤسسات نظام المدرسة خلال فترة قصيرة من ٣٠ إلى ٣٠٠، ثم جرت عملية تدقيق وتوسع لمعاهد الدرس التي أعيدت تسميتها بـ "الجامعة السيفية"، وفقاً لنمط المعاهد العصرية، وتمت مراجعة مخططات مناهجها لتشمل مواضيع علمية غير دينية كمادتي العلوم واللغة

---

(٧٩) لسان الدعوة: وتعني حرفياً لغة الدعوة، وهي لهجة غجراتية تكتب بخط عربي فيها كثير من الكلمات العربية.

(٨٠) الداعي الـ (٥١) من دعاة الفرقة الداؤدية.

الإنجليزية، كما تم "تأسيس دائرة" التعليم لتنظيم مدارس الدعوة، وأنشئت المدارس الابتدائية والثانوية للبنين والبنات التي درست مناهج تعليمية حديثة، إلى جانب دراسات دينية كمادة إضافية، على غرار كليات التعليم العالي. وطوَّر الداعي محمد برهان الدين[٨١] عملية تحديث الجامعة، إضافة إلى طرائق التعليم العالي، وتزويد المكتبة بوسائل أفضل، مع إعادة تنظيم وتحسين القدرات والحصول على اعتراف بالجامعة كمعهد ديني للتعليم العالي من قبل بلدان مختلفة، منها كراتشي ونيروبي، وكان لها دائرتها المستقلة ذاتياً في بدري محل، حيث تلقى اهتمام الداعي الشخصي، وتواصل بناء المدارس الجديدة، وأصبحت الدعوة مسؤولة اليوم عن مئات المدراس[٨٢]. وثمة مدارس دينية تسمى "مدرسة للأطفال البهرة" في معظم المدن التي تضم سكاناً من البهرة، ومن أجل إتاحة الفرصة للأطفال لحضور المدارس العلمانية في أيام الأسبوع، فإن المدارس الدينية تقيم دروسها إما مساءً أو في عطل نهاية الأسبوع. أما خارج الهند وباكستان، فإن المدرسة في دبي هي من أفضل المدارس التي يؤمها التلاميذ، حيث تخصص ساعتين من الحصص يومياً في المدارس العلمانية التي يديرها البهرة، وثمة عدد كبير من المعلمين الدينيين المحترفين ممن تدربوا في الجامعة، كما يوجد آخرون من المتطوعين الذين تدرب بعضهم في معهد الزينية في سيدبور، وهذا المعهد قيد العمل مُنْذُ ١٩٧٩م.

هيكلية الدعوة التنظيمية :

اتصفت الدعوة الإسماعيلية بأنها ذات هيكلية هرمية على وجه الحصر، وكان على رأس هذا الهرم "الإمام"، أي الخليفة الفاطمي الذي كان، باعتباره

(٨١) الداعي الـ (٥٢) من دعاة الفرقة الداؤدية.
(٨٢) انظر: تاريخ الإسماعيليين الاستمرارية والتغيير لجماعة مسلمة، صـ٤٠٣.

سليلاً ووريثاً للنبي محمد- صلى الله عليه وسلم-، المستودع الحق للعلم أو «الحكمة»، وكان "داعي الدعاة" ينفذ نشاطاته باسم الإمام ونيابة عنه، وكثيراً ما أطلق على الأخير في المصادر الإسماعيلية المعاصرة تسمية «الباب»، باعتبار أنه كان الواسطة الوحيدة التي من خلالها يحصل التابع على الحكمة. وسبق لنا معرفة أن "داعي الدعاة" في القاهرة الفاطمية كان، في معظم الحالات، قاضي القضاة أيضاً، بحيث أن كلاً من الصيغة «الظاهرية» للشريعة ومعناها «الباطني» قد أسندا لرعاية شخص واحد بعينه. وكان داعي الدعاة يقوم بتحضير «مجالس الحكمة» بكتابة نصوص المحاضرات شخصياً، ثم يرفعها إلى الإمام لتفحصها وتصحيحها إذا احتاجت، ثم التصديق عليها بختمها بتوقيعه، وكانت نصوص المحاضرات تجمع، وهناك احتمال كبير أن نسخاً منها كانت تُرسل إلى الدعاة في جميع أنحاء العالم الإسلامي لضمان تعليم موحد للمعتقد عند جميع الجماعات الإسماعيلية طبقاً لوجهة نظر الإمام، ويعود الفضل إلى هذا الشرط بالذات أن وصلتنا «مجالس» مختلف الأئمة ودعاتهم في شكل مخطوطات وبأعداد وفيرة.

لقد اتخذ تنظيم الدعوة خارج الإمبراطورية شكل «الجزائر» (مفردها جزيرة) في ظل سيطرة داعية من رتبة عالية حمل لقب «الحجة»، وكان عدد مثل هذه الجزائر يبلغ دائما اثنتي عشرة جزيرة في الكتابات الإسماعيلية، ولكن مما لا شك فيه أن القصد من هذا الرقم كان رمزياً، فهو يشير إلى «الجميع» أو «الكلية». والواقع أن المصادر المعاصرة لتلك الفترة لم توفر الدليل على وجود عدد كبير من مثل تلك «الجزائر». ويشير الداعي المشهور حميد الدين

الكرماني[٨٣] إلى نفسه في بداية كتابه «راحة العقل»، على أنه «الداعي في جزيرة العراق». وما دام أن عنوان أحد أعماله هو «مجالس بغداد والبصرة»، فيمكننا الاستنتاج أن بغداد والبصرة كانتا مركزين رئيسين لنشاطاته، وجزيرة ثانية كانت اليمن، وثالثة السند، وهي التي كانت مرتبطة بالقاهرة عن طريق عدن في اليمن. وكانت تغطي الهضبة الإيرانية ومنطقة ما وراء النهر بكاملها شبكة من الجماعات الإسماعيلية، لكن لا تتوفر لدينا معلومات محددة حول تنظيماتها الداخلية، فكانت شيراز في إقليم فارس مركزاً لعمليات الداعي البارز المؤيد، الذي ربما كان مسؤولاً عن كامل الجزء الجنوبي الغربي من إيران، أما في الشمال الغربي فكانت الري (إلى الجنوب من طهران حالياً) من أكثر المدن أهمية في إقليم الجبال مُنْذُ أقدم العصور، ومركزاً رئيساً للدعوة مُنْذُ بداياتها الأولى، ومن هنا كان إشرافها على الجماعات في مرتفعات الديلم إلى الجنوب من بحر قزوين. ولا بد أن إقليم خراسان في الشمال الشرقي من إيران كان «جزيرة» بنفسه، ولو أنها ظهرت مؤقتاً- في ظل السجستاني وناصر خسرو على سبيل المثال- وكأنها كانت مجتمعة في يد ذلك المقيم في الري.

وجاء في موقع تالٍ "للحجة" عدد وفير من الدعاة المحليين والإقليميين الذين كان لهم بدورهم عدد من المساعدين عرفوا بالدعاة «المأذونين». أما الرتبة الدنيا في الهرمية فقد شغلها الدعاة «المكاسرون»[٨٤]، وهو مصطلح مشتق من الفعل «كسر»، وصيغ على وزن «مناظر» وبمعناه، وكانت مهمة "المكاسر"

(٨٣) الكرماني: هو أحمد بن حميد الدين، ولد في مدينة كرمان عاصر الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي (ت ٤١١هـ) وكان على رأس الدعوة الإسماعيلية في كل من إيران والعراق في زمن الإمام الفاطمي الحاكم بأمر الله، له العديد من الكتب أشهرها "راحة العقل". (للمزيد انظر "راحة العقل"، تحقيق محمد كامل حسين، ط١، القاهرة، دار الفكر. د. ت؛ و"الرياض في حكم الصادين صاحب الإصلاح والنصرة" تحقيق: تامر عارف، بيروت، دار الثقافة، المقدمة، و"الداعي الإسماعيلي"، حيدر محمد عبدالله الكربلائي؛ صـ١٠٣ وما بعدها).

(٨٤) المأذون والمكاسر: في هيكلية الدعوة الإسماعيلية عشر مراتب، ويحتل المأذون العقل التاسع أي الرتبة التاسعة ومهمته أخذ العهد والميثاق (منتزع الأخبار، مج٢/صـ٢١).

الجلوس مع «التلميذ» ومجادلته حتى ينتهي من نقض جميع ما يجادل به. وفي تعليمات النيسابوري لآداب الدعاة[٨٥]، يقول المؤلف إنه على من يقوم بجذب المستجيبين «البدء بكسر مقاومة (التلميذ) وتحطيم آرائه السابقة؛ إن عليه كسر اعتقاده وما يعتنق حتى لا يبقى لديه أي جدل معاكس».

أما الداعي الفرد فقد كان مسؤولاً عن ناحية بعينها، وكان عليه القيام بجولات تفتيشية منتظمة فيها، وينطبق الأمر ذاته على «الحجة» في المستوى الأعلى لـ«الجزيرة». ولا بد أن الحجة كان مسؤولاً أيضاً عن تدريب وتعيين الدعاة العاملين تحت إمرته؛ لكن يبدو أنه كان أمراً متبعاً إرسال جمع الدعاة، أو الذين من المراتب العالية على الأقل، إلى القاهرة، إذا كان ذلك ممكناً، وقضاء بعض الوقت هناك لمقابلة داعي الدعاة شخصياً، وربما الإمام أيضاً، وتلقي التدريب في مركز الحركة. وقد أمضى الدعاة الكرماني، والمؤيد الشيرازي، وناصر خسرو، وحسن الصباح، أمضوا جميعهم عدة سنوات في القاهرة.

إن تعليم الدعوة مهمة إلهية، كما قال الله لرسوله محمد- صلى الله عليه وسلم-: (ادْعُ إلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَة) [النحل:١٢٥]، ولتوضيح كلمة الله تلك وعرضها يلجأ النعمان إلى اقتباس الحكم والأمثال التي هي- وكما هو متوقع- أقوال الأئمة، ولا سيما أقوال إمام محدد بعينه كان يعد على الدوام الأكثر علماً من بينهم، الإمام جعفر الصادق. وقد جاء عن الإمام جعفر الصادق أنه قال: «اطلبوا العلم وتزينوا منه بالوقار والحلم، وتواضعوا لمن تتعلمون منه ولمن تعلمونه، ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم»[٨٦]. وقال

(٨٥) انظر: الرسالة الموجزة الكافية في آداب الدعاة؛ Verena Klemm and Paul E. Walker

(٨٦) كتاب الهمة/ ذكر ما ينبغي أن يستعمله الدعاة إلى الأئمة.

أيضاً: «من طلب العلم ليماري به السفهاء، أو يكابر به العلماء ليترأس به في الناس فليتبوأ مقعده من النار؛ لأن الرئاسة لا تصلح إلا لأهلها»[٨٧].

والمتعلم، طبقا للقاضي النعمان، كثيراً ما يتحرك ويندفع بالطموح والرغبة في التفوق على الآخرين، ويكون بدافع التفاخر أمام الآخرين، والتنافس مع الأصدقاء والزملاء يقوم بدور مهم في هذا المجال، والهدف الرئيس للرجل الطموح يتمثل في الحصول على منزلة عالية، وليس مثل هذا الطموح مؤذياً بالضرورة على كل حال، بل هو في واقع الأمر، كقوة دفع أولية، وكنبضة أولى، مفيد لكن يجب ألا يكون ذلك كل شيء؛ إذ ليس قبل أن يتوغل المتعلم في روح نشاطاته، وعندئذٍ يمكن القول إن علمه قد توج بالنجاح حقيقة. وينقل النعمان عن الإمام جعفر الصادق أمره لأتباعه: «كونوا لنا دعاة صادقين»، وهذا يعني أنْ تَصَّرفُوا واسلكوا سبيلاً بحيث يصبح مثالكم برهاناً كافياً على تفوق دينكم[٨٨].

الآثار الثقافية للهجرات الإسماعيلية وأبرز رموزها:

الأسرة الهمدانية ونشاطها الثقافي (أنموذجاً لإسماعيلية اليمن في الهند) :

اشتهرت الأسرة الهمدانية بتوارثها لعلوم الدعوة الإسماعيلية، ونقل معظم أدبيات الدعوة من اليمن إلى الهند إبان الحروب التي واجهتها الدعوة الإسماعيلية مع الزيدية، مما دعا الكثير من أبناء الدعوة إلى الهجرة إلى خارج اليمن خوفاً على حياتهم، خصوصاً أن الفكر الزيدي كان قد أطلق العنان نحو إبادة جماعية للطائفة الإسماعيلية في اليمن من خلال الحملات العسكرية التي

---

(٨٧) المجالس والمسايرات (٧٩/ كلام في مجلس في تخلف أكثر الناس عن علم الفوائد)، والقول منسوب للرسول. انظر: (١٩١/ حديث جرى في مجلس في الرد على بعض المتكلمين)، انظر أيضاً: دعائم الإسلام ١/ ذكر من يجب أن يؤخذ عنه العلم ومن يرغب عنه ويرفض قوله؛ الهمة/ سابق؛ الأخبار في الفقه٢/ كتاب آداب القضاة.

(٨٨) انظر: الفاطميون وتقاليدهم في التعليم، صـ٤٠.

وجهها، والتي دعمها بإصدار الفتاوى التكفيرية ضد أبناء الطائفة الإسماعيلية، وأغلب الظن أنها نفسها تحكم العلاقة بين الزيود في اليمن والإسماعيلية إلى يومنا الحاضر.

وهذا بدوره أدى إلى قيام الأسرة الهمدانية بتبني عملية نقل الموروث الإسماعيلي خوفاً من ضياعه وحرقه خلال الحروب التي كانت تستهدف الطائفة الإسماعيلية، وكان المجال الواسع لها هو الهند، وهناك استقرت وافتتحت تلك المؤسسة التعليمية "المدرسة المحمدية الهمدانية"، وقدمت خدماتها لطلاب العلم دون انتظار أي مقابل.

وفي أعقاب الخلاف الذي نشب حول نظرية انقطاع النص في زمن عبدالقادر نجم الدين، تعرضت معاهد الدرس للتهميش، ومن ضمنها "المدرسة المحمدية الهمدانية" التي نعتقد أنه تم التحفظ عليها.

هجرة المخطوطات الإسماعيلية عبر العالم- مجموعة سيدي محمد علي الهمداني:

نتيجة الحروب التي كانت تستهدف الإسماعيلية في اليمن، وكان أحد نتائجها إحراق المكتبات الخاصة بالإسماعيلية أينما وجدت بهدف طمس هذا التراث الفكري الإسلامي العميق، قامت الجماعة الاسماعيلية في اليمن بإجراءات عديدة للحفاظ على هذا التراث العلمي، ومن ذلك قيامها بتهريب تلك الأعمال الأدبية من داخل اليمن إلى بلاد المهجر، ومن تلك المجموعات مجموعة سيدي محمد علي الهمداني التي تعد من أهم المكتبات الإسماعيلية حتى يومنا الحاضر.

والمخطوطات المنسوبة للعلم محمد علي الهمداني جُمعت عن طريق أكثر من سبعة أجيال من قبل عائلة سامية من العلماء المنتسبين إلى البهرة، ولذلك فإن الجزء الأكبر للمخطوطات من كتابات الإسماعيلية الدينية، والعديد من هذه

المخطوطات وحتى اليوم تعد من الأعمال السرية وليس من السهل الوصول إليها أو الاطلاع عليها من قِبل أحد من خارج الإسماعيلية، كما أنها ضَمَّت عدداً جيداً من الكُتُبِ الإسلامية العامة، وكذلك الأعمال ذات المحتوى غير الديني، وهذا يوضح لنا المدى الكامل لثقافة تعلم عائلة العلماء الدينيين اليمنيين في الهند، وقد كتبت أغلبية المخطوطات باللغة العربية، لكن هناك أيضاً عدداً صغيراً منها مكتوب باللغة الفارسية والجوجراتية، وهي أيضاً من اللغات التي كان يعلمها بعض البهرة الإسماعيلية.

وأغلب المخطوطات كتبت في اليمن، ولكن كان للأسرة الهمدانية الفضل في عمل نسخ مُتعددة لكتب في مقر إقامتهم في الهند، على الرغم من أن عدداً منها قديم جداً، (ترجع بعض المخطوطات إلى القرن الرابع عشر الميلادي، وقبل ذلك)، وأغلب المخطوطات تم نسخها في القرن التاسع عشر حتى القرن العشرين. والغريب في الأمر أنه رغم التطور في الطباعة الحديثة فإن الأسرة الهمدانية ظلت مرتبطة بالنسخ الخطية، والكتابة اليدوية للمخطوطات، وحافظت على هذا **الموروث اليمني الإسلامي الأصيل في بلاد المهجر**؛ ويرجع أهم الأسباب لذلك إلى سرية هذه الأعمال التي كان يوجد خوف لدى أبناء الإسماعيلية من نشرها والترويج لها، وطباعتها بالطرق الحديثة، وقد استفاد العديد من أبناء الجالية اليمنية في الهند من هذا الموروث العظيم، وحافظ بشكل كبير على الهوية اليمنية لأبناء الجالية اليمنية في الهند.

كما تميزت مجموعة مخطوطات الأسرة الهمدانية بأن عدداً منها قام بنسخها نساء من الأسرة الهمدانية، وكانت من الكتب العالية جداً والسرية أيضاً، وهذه دلالة واضحة على ما كانت تتمتع به المرأة في الأسرة الهمدانية اليمنية في الهند من اهتمام وتثقيف عاليين.

ويعود أصل مجموعة المخطوطات الهمدانية إلى علي بن سعيد اليعبري الهمداني (الذي ولد في ١١٣٢هـ/١٧١٨م ومات في ١٢١٢هـ/١٧٩٨م)، وهو من نقلها عندما تم تهجير أبناء الإسماعيلية، وكانت وجهته من اليمن إلى كجرات في منتصف القرن الثامن عشر، ومن تلك المخطوطات عدد منها قام بنسخه بيده الشريفة قبل ذلك أو بعد وصولِه إلى الهند. ويوضح لنا فهرس المجموعة الصادر عن المعهد الإسماعيلي في لندن[٨٩] أن هناك ثلاثة أعمال أدبية كانت بيد علي بن سعيد.

والمجموعة توسعت تحت إدارة أحفاده، وبشكل خاص تحت إدارة ابن حفيده، عالم البهرة البارز والمربي محمد علي الهمداني (١٢٤٩-١٣١٥هـ/١٨٣٣-١٨٩٨م)، وحفيده حسين (عبدالحسين) فيض الله الهمداني (١٣١٩-١٣٨١هـ/١٩٠١-١٩٦٢م)، الذي فتح أبواب المكتبة العائلية إلى الثقافة الدولية، وبشكل خاص إلى المُستشرق العظيم والطالب الرائد للدراسات الإسماعيلية باول كروس، وتبعه ابنه عباس الهمداني (١٩٢٧-٢٠١٩م)، الذي قام بأخذ تلك المجموعة العائلية إلى مقر إقامته في الولايات المتحدة الأمريكية، ثم قام بالتبرع بها إلى المعهد الإسماعيلي في لندن (التابع للإمام كريم آغاخان) بهدف الحفاظ عليها من التلف والضياع، وكان الهدف الأسمى هو تمكين الباحثين في مجال الدراسات الإسماعيلية من الحصول عليها بسهولة تامة، وهو- للأسف- ما لم يتحقق نتيجة السياسات المتبعة في المعهد الإسماعيلي في لندن، التي احتكرت المجموعة ومنعتها عن كثير من الباحثين.

وهو ما دفع حفيد العلامة حسين الهمداني (الدكتور عمرو معديكرب الهمداني) إلى إعادة تجميع المجموعة الهمدانية وغيرها من الأعمال الأدبية من

(89) FRANCOIS DE BLOIS،Arabic، Persian and Gujarati MANUSCRIPTS، The Hamdani Collection،I.B.Tauris Publishers،LONDON.NEW YORK.

مناطق متعددة في الهند، والسند، والجزيرة العربية، وأوروبا، وكانت مهمة شاقة حيث يقيم الدكتور عمرو بن معديكرب الهمداني حالياً في موطنه اليمن، وكان ذلك سبباً في صعوبات جمة في تحصيل الكثير من المخطوطات والأعمال الأدبية للإسماعلية، وقد تحققت رؤية الهمداني من خلال جمعه لمئات المخطوطات الإسماعيلية من مصادر متنوعة، وقامت مؤسسته العلمية "مؤسسة الهمداني الثقافية- الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث" بنشر العشرات من الأعمال الأدبية الإسماعيلية في اليمن والعالم أجمع.

إن أصول مجموعة الهمداني التراثية تعود لأسرة واحدة كانت ضمن جالية البهرة في الهند، انتقلت من اليمن، وتعود أصولها إلى علي بن سعيد بن حسين بن علي اليعبري الهمداني من قبيلة همدان المشهورة في التاريخ الإسلامي، وكان مقر إقامتهم في منطقة بيت أنعم – همدان، ثم جرى انتقالهم إلى منطقة حراز بسبب الحروب التي كانت موجهة ضد الإسماعيلية من قبل الأئمة الزيديين، وحراز هي المعقل الرئيسي والدائم للإسماعيليةِ في اليمن على مر العصور.

وتشير المصادر إلى أنه نتيجة الأعمال العدائية للزيديين ضد الإسماعيلية في اليمن، والخوف من ضياع الموروث الإسماعيلي، قام الداعي الداؤدي التاسع والثلاثون إبراهيم وجيه الدين (١٧٣٧-١٧٥٤م) بدعوة علي بن سعيد بن حسين بن علي اليعبري الهمداني (١١٣٢-١٢١٢هـ/ ١٧١٨-١٧٩٨م) للمجيء إلى الهند بمجموعته الكبيرة للمخطوطات الإسماعيلية ومخطوطات أخرى، وعلي الهمداني عُرفَ بنسبه وثقافته، حيث يعود نسبه إلى عائلة الأمير سبأ بن يوسف اليعبري، القائد العسكري للداعي الطيبي المطلق الثالث حاتم بن إبراهيم الحامدي (٥٩٦هـ/ ١١٩٩م)، لكنه وعائلته كانت تعيشُ في ظروف صعبة،

وكانت في حاجة المساعدة، لذا هاجر إلى الهند مع زوجته وابنه إبراهيم، واستقرَّ في سورت، وقدم خدماته تحت أربعة دعاة إسماعيليين: الداعي التاسع والثلاثين إبراهيم وجيه الدين، والداعي الأربعين هبة الله المؤيد في الدين (١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م)، والداعي الحادي والأربعين عبدالطيب زكي الدين (١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥م)، والداعي الثاني والأربعين يوسف نجم الدين (١٢١٣هـ/١٧٩٨م).

والمخطوطات اليمنية القديمة انتشرت في مراكز الدراسة الخاصة بالإسماعيلية في الهند على يد حفيده فيض الله (ت ١٨٧٦م)، وابن حفيده محمد علي (١٢٤٩-١٣١٥هـ/١٨٣٣-١٨٩٨م) الذي بنى مكتبة كبيرة أثناء وقت أربعة دعاة إسماعيليين هم: الداعي السادس والأربعون محمد بدر الدين (ت ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م)، والداعي السابع والأربعون عبد القادر نجم الدين (ت ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م)، والداعي الثامن والأربعون عبد الحسين حُسام الدين (ت ١٣٠٨هـ/١٨٩١م)، والداعي التاسع والأربعون محمد برهان الدين (ت ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٦م)، وتحمل العديد من المخطوطات الهمدانية ختماً خاصاً بمحمد علي الهمداني.

وبعد وفاة سيدي محمد علي وزعت بنته صفية المخطوطات بين إخوتها الثلاثة الأصغر، علي وطاهر وفيض الله، جميعهم ابتعدوا عن الداعي الإسماعيلي آنذاك الداعي الحادي والخمسين طاهر سيف الدين (ت ١٩٦٥م/١٣٨٥هـ).

ثم تبرعت بما في حوزتها من المخطوطات بعد موتها، حيث لم يكن لها عائلة وماتت بدون أطفال، إلى صديق العائلة الدكتور زاهد علي (١٨٨٨-١٩٥٨م)، الذي انتقلت مجموعته من المخطوطات حالياً إلى المعهد الإسماعيلي

في لندن. وموقف طاهر الهمداني كان متناقضاً ظاهرياً، فقد دعم الداعي لكنه على الرغم من هذا، لم يستطع التخلي عن مخطوطاته، ووزع البعض منها إلى أخيه الأصغر فيض الله، والبقية إلى ابنه الثاني، محسن، الذي اشترك في نفس الموقف كأبيه.

ووجد جزء من مجموعة محسن طريقه إلى مكتبة الداعي، بينما البقية ما زالت في امتلاك ابنه شُبير، الذي يستقر حالياً في دالاس في الولايات المتحدة الأمريكية.

والابن الأصغر والثاني لفيض الله (ت ١٩٦٩م) حاتم، أعاد تجميع مجموعة مخطوطات "الخزانة المحمدية"، وابنه الأكبر أيضاً حسين، وأتاحها لاحقاً أمام العلماء الغربيين لدراستها. وفي ١٩٦٨م كان فيض الله مريضاً جداً، فأخذت بعض المخطوطات بدون تفويض من مكتبته، وتم بيعها إلى مكتبة جامعة في توبينغن، ألمانيا؛ وقبل موته، أعطى حاتم بعض المخطوطات إلى مكتبة جامعة في بومباي. لكن قبل موت فيض الله طلب من حفيده عباس (ابن حسين)، الذي كان في القاهرة، المجئ لزيارته في سورات، حيث أعطاه أغلب ما تبقى من مجموعته. وأضاف عباس هذه المخطوطات إلى تلك التي كانت في مجموعة أبيه حسين في القاهرة. وامتلكت بنت حاتم سرياً أيضاً بعضاً من المخطوطات الإسماعيلية التي أرسلت في النهاية إلى ابنِ عمها عباس. وهكذا عاد معظم كنز حزانة المحمدية الهمدانية الأدبي إلى حيازة عباس بن حسين الهمداني، وأثناء دراسة العلامة حسين الهمداني في أوروبا، أعطى بعض النسخ من هذه المخطوطات إلى الدكتور باول كروس (١٩٠٤-١٩٤٤م)، ومن خلاله إلى مكتبات عامة في لندن وباريس.

ونتيجة الانقسامات التي حدثت لاحقاً في الدعوة، وظهور المعارضات مما أدى إلى انشقاقات في الجالية اليمنية الإسماعيلية في الهند بعد موت الداعي السادس والأربعين، كان للأسرة الهمدانية دور كبير في هذه الأحداث.

وقام البروفيسور عباس الهمداني، في أواخر عمره، بتسليم مخطوطات الأسرة الهمدانية إلى مكتبة "معهد الدراسات الإسماعيلية لندن"، في محاولة لحفظ المجموعة من التفرق والضياع، وأيضاً لترك أثر إنساني لسيدي محمد علي الهمداني الذي أفنى حياته في تجميع هذه الخزانة التراثية العظيمة. وللأسف كان هذا التصرف، غير القانوني- دون الرجوع لبقية أفراد الأسرة الهمدانية متمثلة في أخيه معديكرب حسين الهمداني، وتناسى أحقية الأخير في ميراث آبائه وأجداده. وتقوم "مؤسسة الهمداني الثقافية" في اليمن بمحاولات عديدة لإعادة هذه المجموعة إلى اليمن، دون الوصول إلى نتائج ملموسة حتى الآن. وعلى الرغم من ذلك، وبسبب ضعف الإمكانات المتاحة للعائلة الهمدانية في اليمن، فإن الدكتور عمرو، حفيد العلامة حسين الهمداني، قد تمكن- خلال عقد من الزمن- من جمع مجموعة مهمة ومتميزة من المخطوطات الإسماعيلية، ويعمل على تحقيق العديد من تلك المخطوطات ونشرها للجمهور في مختلف بقاع العالم.

وكان من المهم بمكان أن تتضمن هذه الدراسة نبذة وجيزة دون إسهاب لبعض أعلام العائلة الهمدانية، وسيكون حديثنا عنهم وفق تدرج تاريخي، وأهم المصادر عنهم ذكرت في مخطوطة مهمة توضح سيرة الأسرة قام بتأليفها الشيخ فيض الله الهمداني.

علي بن سعيد الهمداني:

سيدي علي بن سعيد بن حسين بن علي اليعبري الهمداني، مات في سورات في شهر رمضان ١٢١٢ هجرية /١٦ فبراير/ شباط ١٧٩٨م. وتشير المصادر إلى أنه عاش حوالي ٨٠ سنة تقريباً، ولذا فإن الأرجح أنه من مواليد العام ١١٣١ هـ/١٧١٨م.

ولد في منطقة همدان، وتلقى فيها علومه الأولية، ثم نزح مع أسرته إلى منطقة حراز، ويعود نسبهم إلى الأمير المشهور سبأ بن يوسف اليعبري الهمداني من القرن السادس /الثاني عشر الذي ذاع صيته.

ونتيجة عدة عوامل سياسية واجتماعية، أهمها الممارسات التي كان يقوم بها الأئمة الزيديون ضد أتباع الإسماعيلية، وتشويه صورتهم أمام المجتمع اليمني، إضافة إلى تلقي الشيخ علي دعوة من الداعي المطلق الداؤدي التاسع والثلاثين الداعي إبراهيم وجيه الدين (ت١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م) للنزوح والهجرة إلى الهند، على إثر ذلك انتقل سيدي علي بن سعيد، ونقل مجموعته الكبيرة للمخطوطات من اليمن إلى الهند. وقد عاصر خلال حياته أربعة دعاة متعاقبين.

واشتهر الهمداني بعلمه، وتم اعتباره أحد اثنين الأكثر علماً في الدعوة، والآخر كان سيدي هبة الله بن ولي بهائي، مستشار الداعي الثالث والأربعين سيدنا عبد علي سيف الدين (ت١٢٣٢هـ/١٨١٧م)، وبناءً على طلب الداعي قام سيدي علي بوَضعَ كتاب في الشعرِ[٩٠] "كتاب سلوان المطاع" الذي يحمل اسمه، إضافة إلى بعض قصائد أبيه وجده. وإضافة إلى ذلك اشتهر سيدي علي بكونه خطاطاً خبيراً، وتحتوي مجموعة الهمداني على عدد من المخطوطات

(٩٠) انظر: منتزع الأخبار ج٢ /٢٣١-٢٣٦.

كتبها بيده الشريفة، منها المجلد الثاني من دعائم الإسلام[٩١] للقاضي النعمان بن محمد (ت٣٦٣هـ)، تم نسخها في ١١٦١هـ/١٧٤٨م.

وكانت أهم الأحداث التي عاصرها خلال فترة حياته انضمامه مع المنشق هيبتي إلى حركة الشيخ هبة الله بن إسماعيل بن عبد الرسول، المعروف بالمجدوع، الذي جاء من ايجين، والمجدوع أعلن بأنه كان على اتصال مع الإمام الطيبي المستور، والذي عيّنه "حجة"، أعلى رتبة من الداعي المطلق الأربعين هبة الله المؤيد في الدين (ت١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م).

وانضم إليه أبرز شخصين متعلمين في ذلك الوقت، هما سيدي علي الهمداني، وسيدي هبة الله بن ولي بهائي، وتذكر المصادر أنهما أصبحا من أتباع المجدوع لفترة من الزمن، ووجَّه سيدي علي خطابات إلى رجالات الدعوة، منهم أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن سعيد اليعبري الهمداني للانضمام إلى الهبتيين. وفي وقت لاحق سحب كلا الرجلين العالمين المشهورين دعمهما للمجدوع، وقام سيدي علي الهمداني بتأليف رسالة في تفنيد ادعاءات المجدوع.

محمد علي بن فيض الله الهمداني:

سيدي محمد علي بن فيض الله بن إبراهيم بن علي بن سعيد الهمداني، من مواليد ١٩ صفر ١٢٤٩هـ/٦ يوليو/تموز ١٨٣٣م، وتوفي في سورات في ٩ شعبان ١٣١٥هـ/١ يناير/كانون الثاني ١٨٩٨م عن عُمر ناهز الـ٦٥. وعلى الرغم من إصابته بمرض مزمن في عينيه، فإنه كان أحد الأشخاص المؤثرين في الدعوة خلال فترة حياته، واشتهر بعلمه الذي تلقاه عن والده خلال نشأته

(٩١) المغربي، دعائم الإسلام، مجلدان قام بنشرهما الباحث الإسماعيلي آصف علي أصغر فيضي سنة ١٩٦٣م، منشورات دار المعارف - القاهرة.

المبكرة، ثم أصبح تلميذاً عند خاله عبد العلي ولي الله، حتى موت الأخيرِ في ١٢٧٤هـ/١٨٥٧م.

قام سيدي محمد علي بتعليم مجموعته الخاصة للطلاب مُنْذُ ١٢٧٠هـ/١٨٥٣م، أثناء وبعد السنوات الأخيرة لحياة مربيه ومعلمه، وقد عاصر الهمداني أربعة دعاة داؤديين هم: الداعي السادس والأربعون محمد بدر الدين (المتوفى ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م)، والسابع والأربعون عبدالقادر نجم الدين (المتوفى ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م)، والثامن والأربعون عبد الحسين حسام الدين (المتوفى ١٣٠٨هـ/١٨٩١م)، والتاسع والأربعون محمد برهان الدين (المتوفى ١٣٣٣هـ/١٩٠٦م).

وأدى موت الداعي محمد بدر الدين في ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م إلى خلق ذعر بين الطائفة الإسماعيلية، الأغلبية منهم زعمت أن الداعي مات بدون تعيين وريث، وجرى الاعتقاد على أن الإمام الطيبي المستور يجب أن يظهر، وأقروا بأن رئيس الدعوة القادم عبدالقادر نجم الدين يُعد فقط كمنظم وليس كداعٍ مطلق؛ وكان السبب في قيامهم بمبايعته الحفاظ على وحدة الصف والجماعة.

وبدأ نجم الدين مُنْذُ تعيينه بإضعاف دور العلماء من خلال تعييناته لأفراد عائلته في المكاتب المختلفة للدعوة، وهذا أدى إلى احتجاج من عدد من أتباع الدعوة أطلق عليه لاحقاً (حلف الفضول)، تم إنشاؤه على أسس مذكورة في رسائل إخوان الصفاء، وقاد الهمداني تلك الحركة المعارضة، وقام حينها نجم الدين بتقديم عروض للهمداني بمنحه مراتب وممتلكات، ومنحه رتبة عالية في ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م، لكن هذا لم يردع الأخير من معارضته. وبعد موت أبيه في ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م، سيدي محمد علي ترك الهند وسافر إلى مكة المكرمة مع أربعة علماء آخرين، ومن مكة سافر إلى تركيا وزار إسطنبول، ثم زار سوريا،

وفلسطين، والقدس، وأماكن مقدسة أخرى، قبل الوصول إلى مصر، وسافر عبر شمال إفريقيا إلى تونس والجزائر والمغرب. وهذه الرحلات كان هدفها البحث عن الإمام المستور، الذي كان يعتقد أنه حان الوقت لظهوره.

والفترة الزمنية التي قضاها في مكة حوالي ١١ سنة، حتى ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م، وأثناء هذه الفترة لم يتوقف خلالها من التواصل مع الهند، وتواصلت مراسلاته مع أبناء الدعوة الإسماعيلية، ومع خليفة الداعي آنذاك عبدالقادر نجم الدين في ١٢٩٧هـ/١٨٨٠م، الذي أرسل إليه رسالة يطلب فيها تأييده وموافقته على تعيينه خليفة للداعي السادس والأربعين.

وعاد محمد علي الهمداني إلى الهند في ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م نتيجة إصرار زوجته وأطفاله، وبعد سنة من وصوله أصبح عبدالحسين حسام الدين الداعي الثامن والأربعين، وخلفه في ١٣٠٨هـ/١٨٩١م محمد برهان الدين.

وظل هذان الداعيان على علاقة ودية مع محمد علي، حتى أن حسام الدين زوَّج حفيدته فاطمة إلى ابن محمد علي الأصغر فيض الله، وفي عهد محمد برهام الدين تسلَّم شؤون المدرسة السيفية في سورات، وجعله مستشاراً في تعيينات ممثلي الدعوة في المناطق المختلفة في الهند واليمن. وفي هذه المرحلة ظهرت معارضة جديدة بقيادة عبدالحسين كبروانجي في منطقة ناجبور والذي ادعى أنه على اتصال بالإمام المستور، وفي هذا الصدد قام الهمداني بتأليف عدد من الرسائل لمحاججة المدعي.

وجاء هذا الموقف الذي تبناه سيدنا محمد علي نتيجة وثيقة مهمة كتبها الداعي برهان الدين عام ١٨٩١م اعترف فيها بأنه ليس الداعي المطلق وإنما هو فقط منظم لشؤون الدعوة، وأن هذا أيضاً ينطبق على الدعاة السابقين حسام

الدين ونجم الدين، ويتضح لنا أن معارضة محمد علي الهمداني كانت داخلية هدفها الإصلاح وليس الغرض منها إنشاء جماعة خارجية جديدة.

واهتم محمد علي الهمداني خلال فترة حياته، إضافة لما سبق، بالشعر وعلم الفلك، ويوجد لديه ديوان شعري[٩٢] ضمن مجموعة الهمداني الموجودة في المعهد الإسماعيلي في لندنن، ولديه مؤلف آخر بعنوان "منسك الحج"، وغيرها من المؤلفات، وفي مجموعته يوجد عدد من المخطوطات لبعض العلماء غير الإسماعيليين، جمعها جده ووالده خلال فترة حياتهما.

والعديد من المخطوطات عبارة عن نسخ من أدبيات الدعوة الإسماعيلية القديمة التي قام هو وبعض تلاميذه بفحصها وإعادة نسخها نسخاً متعددة، والمجموعة الهمدانية تحمل ختمه بتاريخ ١٢٨٤هـ، وقد انتقلت بعض من مخطوطات الهمداني إلى مكتبة جامعتي توبينغن وبومباي.

فيض الله بن محمد علي الهمداني[٩٣]:

سيدي فيض الله بن محمد علي بن فيض الله بن إبراهيم بن علي بن سعيد الهمداني، أصغر أبناء سيدي محمد علي، ولد في سورات في أكتوبر ١٨٧٧م وتوفي هناك في شوال ١٣٨٨هـ/ يناير ١٩٦٩م عن عمر ناهز ٩١ عاماً، وكانت علاقاته مع الداعي محمد برهان الدين (ت ١٣٢٣هـ/١٩٠٦م) ودية جداً، حيث أنه اعتبر أن الداعي هو مجرد مُنظم للدعوة وليس داعياً مطلقاً. وخلف برهان الدين في الدعوة عبدالله بدر الدين (ت ١٣٣٣هـ/١٩١٥م) الذي استحوذ على المخطوطات من مجموعة الهمداني التي كانت في حوزة طاهر الأخ الأكبر لسيدي فيض الله، الذي وافاه الأجل بصورة مفاجئة. وقد قرر

(٩٢) ديوان محمدي؛ للأسف لم تتوفر لدينا نسخة من هذا العمل الأدبي الهام.
(٩٣) عميد المدرسة المحمدية وصاحب المدرسة العالية بسورات.

الداعي أنه ليس مجرد مُنظم لشؤون الدعوة وإنما هو داعٍ مطلق، وأدى ذلك إلى التقاضي في المحاكم، خصوصاً في لندن عندما قرر الأخير التحكم في شؤون الدعوة بشكل مطلق. وفي أثناء المقاضاة قدَّم الشيخ فيض الله الدلائل على أن الدعوة مُنْذُ الداعي السادس والأربعين هي ليست مطلقة وإنما يقوم فيها الداعي بتنظيم شؤون الدعوة وليست له اختصاصات الداعي المطلق.

وعاش سيدي فيض الله حياة طويلة عانى خلالها من الفقر والحرمان والتفاني في خدمة الدعوة في تعليم أبناء الدعوة لأصول الدين الإسلامي في الهند، وأنفق كل ممتلكاته في تحقيق ذلك الهدف السامي- نشر الفكر الإسلامي- وقد كان مديراً للمدرسة المحمدية الهمدانية التي توارثها عن والده، وقد أسس أول مدرسة لتعليم اللغة الإنجليزية في مدينة سورات، وكان- رحمه الله- عضواً نشطاً في "المؤتمر التعليمي للمسلمين" في الهند، والأمين العام "لصندوق التنمية والائتمان"، وهي مؤسسة خيرية، وظل كذلك حتى وفاته، كما كان مسؤولاً على حفظ وإعادة العديد من المخطوطات الهمدانية- مجموعة سيدي محمد علي- والمعروفة أيضاً "بالخزانة المحمدية الهمدانية"، وأتاح العديد من هذه المخطوطات النادرة أمام العلماء والباحثين من شتى بقاع العالم الغربيين، وهو ما قام به أيضاً ابنه الأكبر حسين.

ولديه مؤلفات عديدة أشهرها عملان في التاريخ بعنوان "العقيدة البرهانية والسوانية"، تم نشره في سورات عام ١٩٦٦م، وكتاب بعنوان "حياة سيدنا محمد علي الهمداني في البهرة الججراتية"، جزء منه موجود في مجموعة الهمداني في لندن.

حسين بن فيض الله الهمداني[٩٤]:

(٩٤) انظر: الهمداني، العلامة حسين بن فيض الله الهمداني (حياته- نضاله- فكره).

العلامة حسين بن فيض الله الهمداني هو الأبن الأكبر لسيدي فيض الله الهمداني، ولد في سورات في ٤/محرم/١٣١٩هـ الموافق ٣٣/إبريل /١٩٠١م، ولأن ولادته كانت في مُحرم كان اسمه الفعلي "عبدالحسين" الذي تم اختصاره لاحقاً إلى حُسين.

والدته هي فاطمة دايايا، حفيدة الداعي الثامن والأربعين عبدالحسين حسام الدين، وهو تزوج من زينب الحفيدة الكبرى لسيدي صادق علي الذي اشتهر بكونه شاعراً عظيماً.

وتلقى علومه الإسلامية الأولية باللغة العربية على يد معلمه شيخ عشاق علي شهجبوري، وكذلك على يد والده، وكان رائداً في الدراسات الغربية، خصوصاً في ما يتعلق بالدراسات التاريخية المتعلقة بالتاريخ الفاطمي.

وقد تحصل على علومه العلمية الأخرى في مدينة سورات - بومباي الهند، حيث اجتاز مرحلة المتريكوليشن[٩٥] بجامعة بومباي، واجتاز امتحاناتها في الموضوعات الآتية: "الإنجليزية، والفارسية، والتاريخ، والجغرافيا، والأوردية، والجوجراتية"، وحصل على شهادتها في بداية عقد العشرينيات من القرن الماضي.

كما تحصَّل على إجازة علمية في الآداب من جامعة بومباي في الموضوعات الآتية: "الإنجليزية، والعربية، والمنطق، والتاريخ الهندي، والإدارة"، وحصل على شهادتها في عام ١٩٢٢م، وفي منتصف عقد العشرينيات من القرن الماضي (١٩٢٤م) حصل العلامة الهمداني على شهادة

(٩٥) متريكوليشن (Matriculation): شهادة الاجتياز إلى التعليم العالي وتعادل ثانوية عامة.

الليسانس في الآداب من جامعة بومباي في الموضوعات الآتية: "الإنجليزية الإجبارية، والإنجليزية الاختيارية" واجتازها بدرجة امتياز.

وواصل العلامة الهمداني دراساته العليا في جامعة بومباي، حيث حصل على درجة الماجستير في الآداب في الموضوعات الآتية: "اللغة العربية والفارسية" بدرجة امتياز مع مرتبة الشرف في نهاية عقد العشرينيات (١٩٢٧).

كما واصل العلامة الهمداني تعليمه العالي في جامعة لندن- إنجلترا، حيث حصل على شهادة الدكتوراه في الآداب من جامعة لندن عن أطروحة علمية في تاريخ الملل والنحل الإسلامية في العام ١٩٣١م بعنوان:

The Doctrines and History of the Ismaili Da'wa in Yaman as) Based on Da'i Idris Imad'al Din's `Kitab Zahr ul-Ma'ani' and Other Works، " Ph.D. diss.، University of London، 1931).

وبهذا يعد العلامة الهمداني أول دكتور أكاديمي على مستوى الخليج والجزيرة العربية.

وإتقانه لأكثر من عشر لغات حية ولغات قديمة، ومن تلك اللغات ما كان العلامة الهمداني يتقنها قراءة وتكلماً دون كتابة، وهذه اللغات تحديداً هي اللغة الفرنسية، واللغة الهولندية، واللغة العبرية، واللغة السبئية الحميرية[٩٦]، ومن اللغات التي كان يتقنها العلامة قراءة وكتابة وتكلماً اللغة العربية، حيث حصل على بكالوريوس في الآداب بامتياز بالعربية والإنجليزية من جامعة بومباي أيضاً. واللغة الفارسية، فقد حصل العلامة على الماجستير بالعربية والإيرانية من جامعة بومباي، وأجاد العلَّامة الهمداني اللغة الألمانية، واجتاز منهاجاً

(٩٦) الإرياني، مقابلة تلفزيونية، برنامج "وتلك الأيام"، تلفزيون اليمنية الفضائية، تاريخ ٢٠١٠/٢/١٤م.

خاصاً بالألمانية في جامعتي هيدلبرج وبرلين، وكذلك اللغة الإنجليزية، حيث حصل على درجة الدكتوراه باللغة العربية والإنجليزية من جامعة لندن، كما أتقن العلامة الهمداني اللغة الأوردية والججراتية.

وكان العلامة مرتبطاً بعلاقات جيدة، وخاصة مع صديقة الدارس والباحث المشهور بول كروس الذي استفاد من خزانة الهمداني المشهورة، كما استفاد من هذه الخزانة العديد من الدارسين والباحثين الذين كانت لهم علاقة مباشرة مع العلامة حسين الهمداني، منهم آصف فيضي، وزاهد علي.

وتولى العلامة الهمداني مهامه في مجال التدريس، إضافة إلى توليه بعض المهام الإدارية الثقافية، وقد تدرجت هذه المراحل زمنياً، حيث حصل العلامة على عضوية "الجمعية الملكية الآسيوية البريطانية" خلال الأعوام (١٩٣٠-١٩٣٢م). وعلى حد علمي فإن هذه العضوية يتم منحها إلى من توفرت لديه خصائص علمية معينة يمكن تمثيلها بالعبقرية، واستطاع العلامة الهمداني الحصول عليها أثناء قيامه بتحضير دراسة الدكتوراه في جامعة لندن.

وعقب حصول العلامة على درجة الدكتوراه تم ضمه ضمن هيئة التدريس في "جامعة بومباي" (الهند) كأستاذ للغتين العربية والفارسية بكلية سوارت خلال الفترة (١٩٣٣- ١٩٣٤م)، وفي الفترة نفسها تم توليه مهام إدارية كمدير لـ"مدرسة انبمن إسلام العالية" بأحمد آباد في العام ١٩٣٣م. وكذلك عمل نائباً لرئيس "كلية إسماعيل يوسف" ببومباي في عام ١٩٣٢م، وتولى مهام رئاسة "الجمعية العربية" بكلية منجلداس بسورات خلال الفترة (١٩٣٣- ١٩٣٤م)، ويعد الهمداني أول مؤسس لهذه الجمعية، وتولى منصب السكرتير العام للأصدقاء الدوليين بسورات خلال الفترة (١٩٣٣-١٩٣٤م).

وفي العام ١٩٣٤م تم تعيينه عضو لجنة الاستقصاء التي عينتها حكومة نظام حيدر آباد لتقديم التوصيات والمقترحات الخاصة بإصلاح مكتبة الأصفية بحيدر آباد.

وحصل العلامة الهمداني على درجة أستاذ مساعد للغة الفارسية بكلية الفنستون (بومباي) بداية العام ١٩٣٥، ومارس مهامه الأكاديمية فيها طيلة عام، ولمدة عقد من الزمن كان العلامة الهمداني أستاذاً للغة العربية والتاريخ الإسلامي وعميد القسم العربي بدرجة (أ) بكلية إسماعيل يوسف (بومباي) من بداية العام ١٩٣٧م. وخلالها تولى منصب السكرتير العام للجمعية العربية (بومباي) من الفترة (١٩٤١- ١٩٤٤م)، وتولى العلامة مهامه كرئيس لقسم الآداب بكلية إسماعيل يوسف (بومباي) خلال الفترة (١٩٤٥- ١٩٤٦م)، وكان السكرتير العام للجمعية الثقافية العربية الهندية (بومباي) خلال الفترة (١٩٤٥- ١٩٤٧م).

كما كان العلامة هو الأستاذ المسؤول عن مكتبة كلية إسماعيل يوسف (بومباي) من الفترة (١٩٤٥ إلى ١٩٤٧م). وكان أستاذاً للخريجين الذين تعتمدهم جامعة بومباي للإشراف على أبحاث الساعين للحصول على شهادة الدكتوراه باللغة العربية.

وفي الفترة (١٩٤٧- ١٩٤٨م) تقلد العلامة مهامه مديراً مساعداً للأبحاث الإسلامية في حكومة البنجاب الغربية بلاهور بالباكستان، وهي المرحلة التي تم خلالها انتقال العلامة من بلد المنفى (الهند) إلى بلد المنفى (الباكستان).

وفي نهاية العام ١٩٤٨م تم تعيينه كأول مستشار ثقافي لسفارة الباكستان بالقاهرة بدرجة (أ)، وهذه كانت بداية انتقاله من باكستان إلى بلد المنفى (القاهرة) التي استقر فيها حتى وافته المنية - رحمه الله.

وإضافة إلى المنصب الدبلوماسي الثقافي السابق للعلامة الهمداني فقد استطاع تولي عدة مناصب أكاديمية ودبلوماسية، وكانت له أعمال سياسية ونشاطات ثورية، فبدايةً من العام ١٩٤٩م بناءً على دعوة من طه حسين-وزير المعارف المصري- عمل الهمداني أستاذاً لفقه اللغات السامية واللغة الفارسية في كلية دار العلوم المشهورة والمرتبطة بجامعتي الأزهر والقاهرة بدرجة أستاذ، حتى توفي في العام ١٩٦٢م، وخلال هذه الفترة تم تعيين العلامة الهمداني الملحق الثقافي للسفارة اليمنية بالقاهرة من العام ١٩٤٩ إلى ١٩٦٢م، وخلالها أيضاً تم توليه مهام المستشار الثقافي "للاتحاد اليمني" المنعقد في القاهرة ضد حكم أئمة بيت حميد الدين في اليمن من العام ١٩٤٨ إلى ١٩٦٢م.

وله العديد من المؤلفات، وهي من أهم الأعمال العلمية في التاريخ الفاطمي[٩٧]، وهو يُعد بامتياز رائد الدراسات الفاطمية في العالم العربي والإسلامي.

وتوفي الدكتور حسين الهمداني في منتصف سبتمبر ١٩٦٢م بأرض منفاه بالقاهرة، وتم دفنه في مقبرة أحد أصدقائه، وهو العالم الجليل عبد المتعال الصعيدي، وكُتبت على ضريحه عبارة مفادها "صديقين في الدنيا، صديقين في الآخرة"[٩٨].

عباس حسين الهمداني[٩٩]:

البروفيسور عباس الهمداني كان أستاذاً في جامعة ويسكونسن – ميلووكي (الولايات المتحدة الأمريكية)، ولد في سورات، الهند في عام ١٩٢٦م، وحصل

(٩٧) للمزيد عن مؤلفاته راجع كتاب العلامة حسين بن فيض الله الهمداني حياته- فكره- نضاله.

(٩٨) العلامة حسين بن فيض الله الهمداني حياته – فكره- نضاله، عدة صفحات.

(٩٩) نبذة عن حياة البروفيسور عباس الهمداني تم نشرها خلال فعالية أربعينية الفقيد التي أقامتها مؤسسة الهمداني الثقافية في اليمن في شهر فبراير ٢٠٢٠م.

على شهادة البكالوريوس (مع مرتبة الشرف)، وشهادة في القانون من جامعة بومباي في عامي ١٩٤٥ و١٩٤٧م على التوالي، وشهادة الدكتوراه من جامعة لندن (كلية الدراسات الشرقية والإفريقية) في عام ١٩٥٠م، في الدراسات العربية والإسلامية. وقام بتدريس التاريخ الإسلامي في جامعة كراتشي من ١٩٥١م إلى ١٩٦٢م؛ ودَرَّس في الجامعة الأمريكية بالقاهرة من ١٩٦٢م إلى ١٩٦٩م، ومُنْذُ ذلك الحين في جامعة ويسكونسن - ميلووكي حتى تقاعده في عام ٢٠٠١م.

تركز منشوراته على المجالات الأربعة الآتية:

- ❖ الفكر الفلسفي الإسلامي في العصور الوسطى، خاصة فيما يتعلق "بإخوان الصفاء" وموسوعتهم، وقد حقق بعضاً من أجزاء هذه الموسوعة.
- ❖ الخلفية الإسلامية لرحلات الاستكشاف.
- ❖ الصراع بين الخلافة العباسية والفاطمية.
- ❖ شارك في ندوة جامعة صنعاء سنة ١٩٨٦م عن أبي محمد الحسن بن أحمد الهمداني[١٠٠].

تشمل زمالات الدكتور عباس الهمداني وجوائزه: منحة دراسية من لجنة فولبرايت، والمركز الأمريكي للبحوث في مصر، وجائزة التميز في التدريس، والخدمة، وترويج السلام من جامعة ويسكونسن - ميلووكي. وقد ألقى محاضرات في العديد من الجامعات، بما في ذلك الجامعة الأمريكية في القاهرة، وجامعة القاهرة، والجامعة العبرية. ويجيد الدكتور عباس الهمداني عدة لغات كالإنجليزية، والعربية، والفرنسية، والأوردية، والجوجراتية، وقد تنقل حول العالم على نطاق واسع، وتحدث في مؤتمرات في أوروبا، والأمريكَتَيْن،

(١٠٠) للمزيد انظر Al-hamdani the outset of the domination of the Hamdan over Yemen

والشرق الأوسط، وشمال إفريقيا، وأستراليا، وآسيا. وتبرع الدكتور الهمداني في العام ٢٠٠٦م بحوالي ٣٠٠ مخطوطة موروثة عبر سبعة أجيال من أسرته "لمعهد الدراسات الإسماعيلية" بلندن، الذي قام بفهرستها في منشورات "معهد الدراسات الإسماعيلية بالعربية والفارسية والمخطوطات الجوجراتية".

ويُصنف الهمداني من أبرز العلماء عالمياً في مجال الدراسات الإسماعيلية، إضافة إلى امتلاكه لذخيرة علمية نادرة متمثلة في مجموعة المخطوطات النادرة التي آلت إليه من آبائه وأجداده من علماء الدعوة الإسماعيلية.

ومن أهم أعماله ومؤلفاته:

· تحقيق كتاب تحفة القلوب وفرجة المكروب.

· إخوان الصفاء: بين الكندي والفارابي.

· حياة المؤيد في الدين هبة الله بن موسى الشيرازي.

· تحقيق الرسالة الـ(٤٨) من رسائل "إخوان الصفاء" ٢٠١٩م.

- A POSSIBLE FÂTIMID BACKGROUND TO THE BATTLE OF MANZIKERT
- Fatimid Literature Creation، preservation، transfer، concealment and revival
- The Muhtasib as Guardian of Public Morality in the Medieval Islamic City
- The Tayyibi - Fatimid Community of the Yaman at the Time of the Ayyübid Conquest of Southern Arabia
- Al-hamdani the outset of the domination of the Hamdan over Yemen
- *`"Kitab az-Zinat' of Abu Hatim ar-Razi."* In Actes du XXIe Congrès International des Orientalistes. Paris: Imprimerie Nationale، 1949.

Pp. 291-294.

- *"The Tayyibi - Fatimid Community of the Yaman at the Time of the Ayyübid Conquest of Southern Arabia ،"* Arabian Studies، Cambridge، Vol. VII (1985)
- *"Evolution of the Organizational Structure of the Fatimi Da'wa ، " Arabian Studies III (1976): 85-114. Da'is in Yemen.*
- *"Abu Hayyan al-Tawhidi and the Brethren of Purity ،" I.J.M.E.S. IX (1978): 345-353. [Revised version of a paper presented under the same title to the Tenth Annual Meeting of the Middle East Studies Association at Los Angeles، 11-13 November 1976.]*
- *"An Early Fatimid Source on the Time and Authorship of the Rasa'il Ihwan al-Safa ،" Arabica XXVI (1979): 62-75.*
- *"A Re-examination of Al-Mahdi's Letter to the Yemenites on the Genealogy of the Fatimid Caliphs ،" J.R.A.S. (1983/2): 173-207.*
- *"The Arrangement of the Rasa'il Ikhwan al-Safa and the Problem of Interpolations ،" Journal of Semitic Studies XXIX، no. 1 (Spring 1984). Pp. 97-110.*
- *"Sirat of al-Mu'ayyad fid Din al Shirazi."* Ph.D. diss.، S.O.A.S.، University of London، 1950.
- The Beginnings of Ismaili Dawa in Northern India. Cairo، 1956.
- *"The Discovery of a Lost Literature ،"* All Pakistan History Conference VIII (1958): 61-73.
- The Fatimids. Karachi، 1962. 84 pp.
- *"Some Considerations on the Fatimid Caliphate as a Mediterranean Power."* In Atti Terzo Congresso di Studi Arabi e Islami'i. Naples: Ravello، 1967. Pp. 385-396.

- *"The Fatimid-Abbasid Conflict in India،"* I.C. XLI (1967): 185-191.
- *"The Yamani Ismaili Dai Hatim b. Ibrahim al Hamidi (d. 596 A.H./1199 A.D.) and his Book `Tuhfat al Qulub' ،" Proc. 27th Intern. Cong. Or. (1971): 270-272.*
- *"Some Aspects of the History of Libya During the Fatimid Period." In Libya in History، ed. Gadalla. Beirut: Imprimerie Catholique، 1970. Pp. 321-348.*
- *"The Dai Jalam b. Shayban and the Ismaili State of Multan. Karachi، 1973.*
- *"The Dai Hatim ibn Ibrahim al Hamidi and his Book `Tuhfat al Qulub' ،" Oriens XXIII/XXIV (1974): 258-300.*
- *"Byzantine-Fatimid Relations before the Battle of Manzikert ، " Byzantine studies I (1974): 169-179.*

توفي عباس الهمداني في أواخر ديسمبر العام ٢٠١٩م عن عمر ناهز ٩٢ عاماً في بلد المهجر أمريكا-مخلفاً إرثاً علمياً كبيراً ومهماً، وللأسف لم تسنح الفرصة للاستفادة منه في موطنه الأصلي اليمن، وتعمل "مؤسسة الهمداني الثقافية" حالياً على العمل على نشر تلك الأعمال الأدبية والثقافية للبروفيسور الهمداني في اليمن، وكذلك العمل على ترجمة أعماله إلى اللغة العربية حتى يتمكن الباحثون المهتمون بالدراسات الفاطمية من الاستفادة منها.

الآثار الاجتماعية للهجرات الإسماعيلية:

كان أول داعية إسماعيلي أرسل من اليمن إلى كامبي الهندية هو عبدالله[١٠١] الذي نجح في تأسيس الدعوة بنحو ثابت. وطبقاً لتقاليد الإسماعيليين البهرة أو

(١٠١) لا تتوفر لدينا معلومات واسعة عنه .

رواياتهم[١٠٢]، فإن عبدالله قد تمكن في نهاية الأمر من تحويل سدهراجا جياسنغا (٤٨٧-٥٢٧هـ) ملك غجرات الهندوسي الراجبوتي الذي كان يتخذ أنهلوارا (باتان الحديثة) عاصمة له، ووزير الاثنين الشقيقين بهارمل وتارمل، إضافة إلى شريحة مهمة من السكان المحليين، حوَّلهم إلى الإسلام على مذهبه، وطبقاً لهذه الروايات فقد كان يعقوب بن بهارمل هو من خلف عبدالله وأصبح رئيس الدعوة في الهند، وقد أرسل ابن عمه فخر الدين بن تارمل يدعو إلى الإسماعيلية في غرب رجستان حيث لاقى حتفه هناك. ودُفن فخر الدين الذي عُد أول شهيد إسماعيلي هندي في غاليكوت، وانتقلت ولاية الدعوة في الهند عقب ذلك إلى بير (أو الشيخ) حسن المعروف باسم حسن بير أحد المنحدرين من الداعي عبدالله، وقُتل حسن عموماً بينما كان يقوم بأعمال الدعوة، ولا يزال ضريحه في مكان قرب هاريج، وخلف حسن حفيده آدم بن سليمان الذي شغلت سلالته منصب الولاية لأجيال عديدة[١٠٣].

وكانت الجماعة الإسماعيلية في غجرات قد حافظت على روابط وثيقة مع اليمن، وأيدت مثل الصليحيين حقوق المستعلي والآمر في الإمامة، ووقف المستعليون الغجرات بصورة مشابهة إلى جانب السيدة أروى بنت أحمد وتنظيم الدعوة القائم في اليمن في تأييدهم للقضية الطيبية أثناء النزاع الحافظي – الطيبي. وبعد انهيار الدولة الصليحية خضع الطيبيون في الهند لإشراف وثيق من الداعي المطلق في اليمن الذي كان يختار الرؤساء المتتالين للجماعة

(١٠٢) بنديات، صفحات كثيرة (٤٨-١٠٠) وخير خواء، تصنيفات، صـ٦٨، ٩١، وفصل صـ٣٢- ٣٣

(١٠٣) أفضل معالجة للموضوع قام بها عظيم ناجي، تقليد نزاري، صـ٦٥، ٩١؛ ميسرا، الجماعات المسلمة في غجرات صـ١٠-١٢، ٥٤- ٦٥؛ إيفانوف "ساتيانث" في كولكناتيا صـ١-١٩، علي، أصول الخوجا صـ٣٩-٤٤؛ هوليستر، الشيعة صـ٣٣٩-٣٦٢، يوسف علي، خوجا، الموسوعة الإسلامية، م٢ صـ٩٦٠- ٩٦٢؛ إيفانوف، خوجا صـ٢٥٦-٢٥٧؛ مادلونغ الموسوعة الإسلامية ط٢، م٥، صـ٢٥-٢٧.

الهندية، ويستقبل بانتظام وفود البهرة من غجرات في ظل تلك الظروف. وتابعت الجماعة الطيبية في غجرات نموها بشكل ملموس، واعتنقت أعداد كبيرة من الهندوس الإسماعيلية الطيبية، لا سيما في كامبي، وباتان، وسدبور، وفي أحمد آباد فيما بعد، المكان الذي تأسس فيه مقر القيادة الهندية [١٠٤].

ولم يتعرض إسماعيلية غجرات ولا دعاتهم لاضطهاد الحكام الهندوس المحليين الذين لم يشعروا بأي خطر جراء نشاطات الإسماعيلية. وهكذا فقد نمت الجماعة الإسماعيلية وتطورت من دون أي عائق، حتى الغزو الإسلامي لغجرات سنة ٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م عندما تعرضت نشاطات الدعوة للتضييق إلى حد ما على أيدي حكام المنطقة المسلمين الذين اعترفوا بسيادة سلاطين دلهي، وتدهورت حالة الإسماعيليين الهنود أكثر من ذلك مع غزو ظفرخان مظفر لغجرات سنة ٧٩٣هـ/١٣٩١م. ولأنه كان يتوجس خيفة من نجاحات الإسماعيلية، فقد أصبح ظفرخان أول حاكم لغجرات يقمع الشيعة في مملكته، وتتالت الأحداث على الإسماعيلية في ظل الانقسام الذي حدث بينهم حتى تأسيس حكم المغول، حينها بدأ البهرة الإسماعيلية يتمتعون بدرجة معينة من الحرية الدينية، حيث تخلوا عن "التقية"، وصاروا يصلُّون علناً في مساجدهم.

وفي أكثر الأحوال، كان يتم إرسال الطلبة الواعدين من الطيبيين الهنود إلى اليمن لزيارة معارفهم، مستفيدين من الروابط الوثيقة القائمة بين البهرة الطيبيين ومقر قيادة الدعوة المركزية، وهذا ما جرى لكبار رجالات الدعوة الإسماعيلية.

وكان يوسف بن سليمان الذي تولى رئاسة الإسماعيلية بهرياً آخر اختاره الوالي لدراسات متقدمة في اليمن، وقد وصل يوسف إلى اليمن وهو ما يزال شاباً يافعاً، وأول ما درس على يدي حسن بن نوح البهروجي (ت٩٣٩هـ).

---

(١٠٤) انظر: الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم، صـ٤٧٠- ٤٧١.

وسرعان ما لفتت دراسة يوسف انتباه الداعي المطلق الثالث والعشرين فرشحه لخلافته، وهكذا أصبح يوسف أول هندي يرأس الدعوة الطيبية بصفته الداعي المطلق الرابع والعشرين. وعندما توفي الداعي الثالث والعشرون سنة ٩٤٦هـ كان خلفه يوسف في سدبور، فمن غجرات راح يوسف يُصرف شؤون الدعوة لبضع سنوات قبل استقراره في اليمن. وعندما توفي سنة ٩٧٤هـ تحول مقر القيادة المركزي للدعوة الطيبية من اليمن إلى غجرات على يدي خلفه الهندي عبد الجليل بن حسن، وفي تلك الفترة أقام الداعي المطلق الطيبي مقره الخاص في أحمد آباد، وعيّن نائباً له لإدارة شؤون الجماعة ودعوتها في اليمن(١٠٥).

وقد تعرض الإسماعيلية للعديد من الاضطهاد والملاحقة من قبل حكام حكموا غجرات وغيرها بعد حكم المغول، ويمكن اعتبار فترة الحاكم المغولي جلال أكبر هي أفضل مرحلة مرَّت، وما تلاها كانت مراحل زمنية صعبة على جماعة الإسماعيلية. وجرى في ظل الموجات المتكررة للاضطهاد منع طقوس الإسماعيلية البهرة وممارساتهم في الهند، بما في ذلك زيارة أضرحة الأولياء المتعددة، واحتفالات إحياء ذكرى استشهاد الحسين بن علي خلال شهر مُحرم، يضاف إلى أنه حتى التعبدات الدينية الطيبية، كالصلوات اليومية، صار يديرها الموظفون السنة الذين أصبحوا مسؤولين عن رعاية مساجد الطيبيين أيضاً. وفُرضت على الإسماعيليين البهرة ضرائب جزائية وأشكال أخرى من المطالب المالية الباهظة، وعُين، في الوقت نفسه، معلمون سُنة لتعليم الإسماعيليين البهرة عقائد الإسلام السني. واستمرت أعمال الاضطهاد هذه التي استوجبت التزاماً صارماً بـ"التقية" طوال فترة قيادة ابن عبد الطيب وخليفته موسى كليم الدين

(١٠٥)انظر: الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم، صـ٤٧٤؛ صحيفة الصلاة السليمانية صـ٦٨٢.

(ت ١١٢٢هـ) الذي تزامنت فترته مع السنوات الأخيرة من فترة عالمجيرا. وفي وقت متأخر وصل إلى سنة ١١١٦هـ، أُعتقل المزيد من البهرة البارزين ممن عملوا باسم الدعوة الداؤدية، وأُرسلوا مع كتبهم إلى الإمبراطور المغولي لينالوا عقابهم[١٠٦]. وبوفاة اورنكزيب سنة ١١١٨هـ، والانحطاط اللاحق للإمبراطورية المغولية في الهند، سُمح لجماعة البهرة الإسماعيلية عموماً بالتطور بحرية أكبر، وأدى اشتغالهم في المجال التجاري إلى جذب انتباه أصناف متنوعة من حكام الهند الصغار الذين كثيراً ما فرضوا عليهم دفعات مالية مخالفة للأصول.

وكان الداعي السادس والأربعون محمد بدر الدين بن عبد علي سيف الدين (١٢٥٢- ١٢٥٦هـ) آخر الدعاة الذين كانوا ينتمون إلى الراجبوتيين من غجرات. وتشير المراجع إلى أنه في أكثر من مناسبة قد ذكر أن خليفته هو عبدالقادر نجم الدين، غير أنه توفي فجأة سنة ١٢٥٦هـ دون أن يعلن ما يُسمى "النص الجلي"، وهي التسمية العامة لولي العهد، ما سبب جدالاً ساخناً في الجماعة في مسألة الخلافة، وهو جدل استمر حتى الوقت الحاضر[١٠٧]؛ ولم يُقدم علماء الداؤدية في ظل تلك الظروف على الكشف عن الأمر للجمهور، إلا أنهم اتفقوا عموماً على وجوب تولي عبدالقادر نجم الدين إدارة شؤون الدعوة، وكان عبدالقادر الذي شغل رتبة "المكاسر" في ذلك الوقت ابناً للداعي الخامس والأربعين طيب زين الدين بن شيخ جيوانجي. والجدير بالذكر، أن شيخ

---

(١٠٦) وردت رواية هذه الزيارة في "جنة بوري" الشعر المنسوب إلى إمام شاه، ترجم عند هودا "بعض نماذج" صـ ١٢٢-١٣٧. انظر: الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم صـ٤٨١.

(١٠٧)انظر حول ذلك محمد علي، موسم بهار، م٣ صـ٦٩٣- ٧٦٧، إسماعيلجي، أخبار، صـ٣٦٢؛ زاهد علي، صـ٢٩٥- ٢٩٧، انجنيز، البهرة صـ١٣٥ وما بعدها، بونوالا صـ ١٤، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٤- ٢٢٨؛ انظر أيضاً: الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم صـ٤٨٤.

جيوانجي هو جد أكثر أسر الدعاة الداؤدين حداثة، وهي التي بدأت سنة ١٢٣٢هـ وحتى وقتنا هذا. والمهم في الأمر، أن الداؤدية اعترفوا بعبد القادر رئيساً جديداً لهم، بينما واصلت دوائر متعلمة جدالها في أمر ولايته وتشكيكها في شرعيته.

بل إن بعض العلماء الذين قلقوا كثيراً من مسألة انقطاع النص والتعاقب المنتظم للدعاة، بدأوا يتوقعون الظهور الوشيك للإمام الطيبي، وكانت النتيجة أن غادر خمسة علماء من الداؤديين البارزين، بمن فيهم محمد علي بن فيض الله الهمداني (ت ١٣١٥هـ/ ١٨٩٨م)، الهند إلى شبه الجزيرة العربية سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م بحثاً عن الإمام، وزارت المجموعة العديد من المواضع في الحجاز وغيرها، ودخلوا في مصاعب مع السلطات العثمانية التي ظنت البهرة الإسماعيليين جواسيس. وفي عام ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م أقام علماء الدين الداؤديون القياديون، برئاسة إبراهيم بهائي صفي الدين، مجلساً استشارياً في سورات عُرف باسم "حلف الفضائل" من أجل هداية الجماعة في المسائل الدينية طبقاً للشريعة، لا سيما أن التثقيف الديني كان قد توقف في غضون ذلك في مركز "دار سيفي". وتبين أن المجلس لم يولد إلا ليعيش فترة قصيرة، وأن مختلف دوائر الداؤديين بقيت مضطربة جراء الجدل الذي أحاط بتولي عبدالقادر نجم الدين لمنصب الداعي.

وهنا يتضح لنا التأثير الاجتماعي الذي كان للأسر اليمنية دور مهم في بنية المجتمع الإسماعيلي في الهند، فقد كانت أكثر الأسر معارضة، وكانت لها مواقف راديكالية بخلاف العامة من أتباع الطائفة الإسماعيلية. كما يتضح لنا مدى المعاناة التي مرت بها تلك الأسر اليمانية في بلاد المهجر، الهند، سواء من

الحكام المحليين للمناطق الهندية التي استوطنوها، أو من خلال الخلافات التي مرَّت بها الدعوة الإسماعيلية وكان لها تأثير مباشر عليهم.

ويتضح لنا مدى التزام اليمنيين بالحفاظ على هويتهم اليمنية من خلال عاداتهم ولباسهم وتقاليدهم المختلفة.

وفي وقت الداعي الحادي والخمسين طاهر سيف الدين (١٣٣٣-١٣٨٥هـ/١٩١٥-١٩٦٥م) الذي ترأس الجماعة لمدة خمسين سنة، راحت المعارضة، التي أكدت في بداية أمرها التعليم العلماني، تدعو بمرور الوقت إلى التغيير الاجتماعي والحقوق الفردية، وديمقراطية المؤسسات المحلية التي تتبع الدعوة، والمسؤولية المالية للمبالغ التي تُجبى من الداؤديين. وجرى إبان الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين تكوين المزيد من المجموعات الإصلاحية التي سرعان ما انضمت إلى المعارضة القديمة في الجماعة، مؤسسة جبهة متحدة باسم "برغاتي مندال" (أي المجموعة التقدمية)، لكن الأكثرية الساحقة من الداؤديين البهرة، وهم التقليديون في أساليبهم ونظرتهم، واصلت كونها مؤيدة متحمسة لداعيها.

ولم يكن ذا أهمية الاستخدام الفعَّال لعقوبة الفصل عن الجماعة،ن والأمر بالمقاطعة الاجتماعية من بين إجراءات تأديبية أخرى مارسها الداعي في إضعاف الجهود الإصلاحية الداؤدية. وفي وقت مبكر من فترة ولايته، حوّل سيدنا طاهر سيف الدين مقر إقامته الدائم ومقرات قيادات الدعوة الداؤدية إلى بومباي، حيث سبق لجماعة مهمة من البهرة الإسماعيليين أن أقامت هناك، يضاف إلى ذلك أن بومباي أصبحت مركزاً رئيساً للتجارة في الهند حيث تفوقت على مراكز البهرة السابقة في غجرات، وبعد تقسيم الهند، أصبحت كراتشي في باكستان بجاليتها المهمة الأخرى من البهرة ثاني أكبر مركز مهم للجماعة

الإسماعيلية في جنوب آسيا، وأتاح الداعي الحادي والخمسون المجال لأفراد جماعته للقائه بانتظام، وأعاد بناء العديد من المقامات الدينية للبهرة في الهند، إضافة إلى بنائه مسجد سيفي في بومباي، وهو الأكبر بين مساجد الداؤديين الذين لديهم العديد من المساجد الأخرى في آسيا وفي أمكنة أخرى.

وخلف طاهر سيف الدين سنة ١٩٦٥م ولده الأكبر سيدنا محمد برهان الدين الداعي المطلق الثاني والخمسين للبهرة الداؤديين، وقد تمسك الداعي محمد برهان الدين بسياسات والده بصورة أساسية، حيث كرَّس اهتماماً خاصاً لأمور الإنعاش الاجتماعي والتعليم للداؤديين، إضافة إلى الإسهام المتزايد للمرأة في شؤون جماعة البهرة، والبهرة هم في الوقت الحالي من بين أكثر الجماعات تحصيلاً في التعليم في جنوب آسيا. وفي عام ١٩٨٣م أنشأ الداعي فرعاً جديداً للجامعة السيفية في كراتشي، وكان قد حصل في سبعينيات القرن الماضي على عروض واسعة من الحكومة المصرية لترميم الأوابد من الحقبة الفاطمية، ورمم البهرة الداؤديون عقب ذلك عدداً من هذه الأوابد، ومنها مسجد الحاكم والآمر، وعمل الداعي محمد برهان الدين على بناء العديد من المساجد للبهرة الداؤديين في جنوب آسيا، وفي عدة بلدان في الغرب(١٠٨).

ولا توجد لدينا إحصاءات دقيقة عن أعداد البهرة الإسماعيليين في الهند، ولكن بناء على إحصاءات قامت بها الحكومة الهندية في ثلاثينيات القرن الماضي، فإن المتوقع أن يكون عدد البهرة قد تجاوز المليون شخص في بداية القرن الحالي، أربعة أخماسهم يقطنون في الهند، وأكثر من نصف عدد البهرة الداؤديين يعيشون في غجرات، بينما يتموضع الباقون بصورة أساسية في بومباي ووسط الهند. وتتألف المراكز الحضرية الرئيسة للداؤديين في الهند من

(١٠٨) انظر: الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم صـ٤٨٨.

بومباي، ودوهد وأوديبور، وأوجين، وسورات، وأحمد آباد، وسدبور، إضافة إلى بلدات أخرى في غجرات، ومذيا برادش، ومهرشترا. أما خارج الهند فالعدد الأكبر للداؤديين موجود في باكستان، ومعظمهم في كراتشي، كما أنهم يتواجدون في سريلانكا أيضاً وفي مختلف أنحاء الشرق الأقصى. وأكبر تجمع للبهرة خارج الهند بعد باكستان يتموضع في إفريقيا الشرقية، حيث يعيش الآلاف منهم في تنزانيا، وكينيا، وأوغندا. وقد وجد الإسماعيليون في إفريقيا الشرقية أنفسهم مضطرين إلى الهجرة إلى الغرب بنحو متزايد بسبب السياسات القمعية لبعض الحكومات المحلية ضد الآسيويين. وبالفعل فإن جماعات داؤدية قد أسست نفسها في أوروبا وأمريكا مُنْذُ سبعينيات القرن الماضي.

البهرة العلوية في الهند.. تأثيرهم وتأثرهم:

أشرنا سابقاً إلى الهجرة العلوية ونسبتهم إلى الداعي علي شمس الدين، وهو حفيد الداعي اليمني إدريس عماد الدين، وقد مرَّت الدعوة بظروف مشابهة لتلك التي مرت على البهرة في الهند لا تختلف عنها في شيء، وكان للطائفة أدوار عديدة في المجالات الثقافية والاجتماعية من حيث إنشاء المدارس الدينية العلمانية، وتشهد الجماعة العلوية تطوراً ملحوظاً في بنيتها الاجتماعية والسياسية، خصوصاً من خلال النشاطات التي يدعمها الداعي الحالي سيدنا حاتم زكي الدين (الداعي الخامس والأربعين من دعاة الفرقة العلوية) [١٠٩].

وقد عانت البهرة العلوية من ممارسات وحشية ضدها من قبل معارضيها، ولم تجد سوى اللجوء إلى المحاكم الهندية، ومن أهم تلك الأحداث، أحداث عام ١٦٢٢م، وبعد إصدار الأحكام لصالحها، بدأت الجماعة تشعر باستقرار نسبي، حيث تكررت تلك الأعمال والمضايقات من قبل معارضيها، وهو ما دعا

(١٠٩) للمزيد انظر الموقع الإلكتروني الخاص بالبهرة العلوية (www.alavibohra.org).

المكاسر حسن بدر الدين إلى السفر إلى لاهور، ثم إلى كشمير لمقابلة الامبراطور شاه جهان في ١٦٣٧م، والذي عقبه أحداث جمة عملت في مجملها على استقرار الجماعة العلوية والحد من المضايقات وأعمال العنف الموجهة ضدها من معارضيها.

ويمكن القول إن دعاة البهرة العلوية هم امتداد لأجدادهم من الدعاة اليمانيين وحتى يومنا هذا؛ والذين كان لهم الأثر الكبير في ترسيخ مبادئ الدعوة ونشر الإسلام بين أوساط الهندوس. وتضم البهرة العلوية الآلاف من الأتباع، ولا توجد لدينا حصيلة دقيقة بشأن أعدادهم.

وحالياً تحظى الجماعة بحالة من الاستقرار في مناطق تواجدها في الهند، وخارج الهند أيضاً في دبي، والكويت، وباكستان، وغيرها من البلدان.

ونرى المعالم الإسلامية التي ساهمت البهرة العلوية بإنشائها ممثلة في مقر الدعوة الرسمي، وإنشاء العديد من المساجد الخاصة في منطقة فادودارا حيث تستقر الجماعة العلوية، ولديهم مساجد أخرى في مناطق انتشارهم المختلفة، ويتم تعيين نائب يدير شؤون الجاليات المتواجدة في مختلف المناطق والدول التي تنتشر فيها الجماعة العلوية.

وشهدت البهرة العلوية تطوراً ملحوظاً في مجالات التعليم في عهد الداعي الثاني والأربعين علي بدر الدين (ت١٩٥٨م)، حيث أدت جهوده إلى تنظيم أكثر لشؤون البهرة العلوية والجاليات المختلفة، وأيضاً كان لجهود الداعي الثالث والأربعين سيدنا يوسف نور الدين آثار كبيرة في إنشاء أهم مساجد البهرة العلوية، واشتهرت البهرة العلوية في المجال التجاري بتجارة البصريات في عهده، ويقوم الداعي الحالي الخامس والأربعون سيدنا حاتم زكي الدين بجهود كبيرة وحثيثة من أجل تطوير البنية التحتية للطائفة في مناطق تواجدها، والعمل

على تنظيم أكثر لشؤون الجماعة العلوية، كما قام بمساعدة العديد من الباحثين الغربيين والشرقيين المهتمين بالدراسات الإسماعيلية من خلال إتاحة بعض كتب خزانته المشهورة والكبيرة التي تحتوي على العديد من الأعمال الأدبية للإسماعيلية، والتي ساعدت الباحثين في تحقيق التراث الإسماعيلي بصورة أكثر دقة وفعالية.

ولا ننسى أيضاً الجهود التي تبذلها الجماعة العلوية في المشاريع الاجتماعية والتنموية، وما يقدمه الداعي الحالي من جهود كبيرة في هذا المجال تهدف إلى مساعدة الفئات الفقيرة في شتى بقاع العالم، ومنها اليمن.

النشاطات الاقتصادية للإسماعيلية في بلدان المهجر:

اعتمدت معيشة الأكثرية العظمى لجماعة البهرة في الهند تاريخياً- كما يوحي الاشتقاق اللغوي الأكثر قبولاً لاسمهم- على بعض أشكال التجارة، وقد لقيت التجارة والأعمال بصورة تقليدية وعقائدية تشجيعاً فعّالاً تفضيلاً لهما على بقية أشكال العمالة والوظائف، وكان ثمة رجال أعمال بهرة ناجحون يعملون في الهند مُنْذُ بداية تأسيس الجماعة هناك. وقد وصفهم ناشر صحيفة "بومباي" في أواخر القرن التاسع عشر بـ"البهرة التجار"- تجار كبار على نطاق واسع يتاجرون مع شبه الجزيرة العربية، والصين، وسيام (اسم تايلندا الحالي)، وزنجبار – وغالبية التجار المحليين أو أصحاب الدكاكين الصغار- وأشار إليهم باعتبارهم "الطبقة الأكثر ثراءً ونجاحاً بين مسلمي غجرات".

وشهدت الفترة من القرن التاسع عشر إلى القرن الحادي والعشرين توسعاً كبيراً في مغامرات البهرة التجارية في بلدان خارج الهند، حيث راحت جماعات مهاجرة ومزدهرة تتشكل في نصفي العالم الشرقي والغربي، ففي القرن التاسع عشر، بدأ البهرة مغامراتهم في مناطق أخرى تابعة للإمبراطورية البريطانية،

كالمالديف وسيلان (سيرلانكا اليوم)، وشرق إفريقيا، مستفيدين من موارد "شركة الهند الشرقية البريطانية"، وبتشجيع من دعاتهم ومساعدتهم المالية في أحيان أخرى، وشكَّلت موجة مرض الطاعون القاسية في العام ١٨١٣م دافعاً للبهرة الذين تأثروا بها للسعي وراء رزقهم في أماكن أخرى، وتوسعت أنشطتهم التجارية وشراكاتهم أيضاً مع الهنود الآخرين في استثمارات مختلفة، وتولوا تشغيل عمليات زراعة أشجار المطاط والشاي، ولعبوا دوراً مهماً في تجارة التوابل. فكانت "شركة هونغ كونغ- كولون للنقل البحري" من تأسيس أحد البهرة، عبدالعلي إبراهيم، الذي لا يزال أحفاده رجال أعمال رواداً في هونغ كونغ، وكان البهرة إبان العقود الأخيرة من ذلك القرن يهاجرون بأعداد كبيرة غير مسبوقة إلى بومباي، ويشاركون في النمو المالي لهذه الحضارة المزدهرة والمساهمة فيه، على الرغم من احتفاظهم بعاداتهم الاجتماعية- الدينية المحافظة ضمن بيئتها العالمية. وأقدم العديد من رجال الأعمال البهرة الرواد على بناء مساجد، وجماعة- خانة (قاعة الجماعة) كثيرة، بعضها كان في أمكنة لم يسبق لها وجود فيها، فأصبح هناك مسجد لكل جماعة من جماعات البهرة تقريباً، وأيضاً البيوت الفارهة(١١٠).

وشهد القرن العشرون نمو الازدهار التجاري للبهرة الذين كانوا من بين أسبق من سبق من مغامري الأعمال البهرة اليمنيين ممن استغلوا توسع الأسواق وفرص التجارة المتزايدة لتلك الحقبة، فكانت الفرص المالية واحدة من الدوافع الأساسية، إلى جانب التعليم، في التضخم السكاني للبهرة في الغرب، ولا سيما في المملكة المتحدة، وكندا، والولايات المتحدة. في حين احتل الدافع الاقتصادي

(١١٠) انظر على سبيل المثال الوصف الذي كتبه السير جون مالكوم لم العام ١٨٢٣م لبيوت البهرة "العصرية" في سورات مع "التحسينات الأوروبية" في نشرة رئاسة بومباي، كمبل، م.٩، قسم ٢: المسلمون والبارسيون [أو الزرادشتيون]، صـ٢٩، حاشية ١.

المرتبة الأسمى التي دفعت برجال البهرة إلى الهجرة إلى دول الإمارات في منطقة الخليج، وصارت حياة أسر هؤلاء المقيمة في الهند تعكس تقدماً في رخائهم وازدهارهم(١١١).

المؤثرات السياسية لإسماعيلية اليمن في بلدان المهجر:

اتصفت الفترة الحديثة من تاريخ الدعوة الطيبية، على وجه العموم، بأنها فترة ازدهار وهدوء نسبي، وخاصة عند مقارنتها بالحقبة التي سبقتها، وقد حظي الداعي في الهند باحترام تاريخي من قبل الهندوس والسيخ، وكذلك من قبل المسلمين، باعتباره شخصية روحية لامعة. واشتهر البهرة بمواقف تميزت بنزعتها نحو الانسجام، وحسن النية، وعدم المواجهة مع الناس من أتباع المعتقدات الأخرى. ومع ذلك فكثيراً ما عانوا من الاضطهاد والأعمال العدائية لكونهم جماعة شيعية أقلية، والتزامهم بممارسات دينية علنية مميزة، كالاحتفال بالعيد بناءً على تحديد فلكي له (وليس بناءً على رؤية القمر)(١١٢)، وإقامة صلوات أيام الجُمع بصورة منفصلة، وممارسة احتفالية "المأتم"، أثار عداوة طوائف المسلمين السنة، بينما أدى ذبحهم للحيوانات للحصول على لحومها في بعض الأحيان إلى إثارة غضب الهندوس النباتيين (وهذه عوامل كانت مهمة في السياق العريض للاضطرابات بين المسلمين والهندوس في البلاد). ثم إن التماسك الملحوظ والرفاه الاجتماعي المؤثر لدى جماعة البهرة، إضافة إلى الاحتفالات، وأسلوب حياتهم الأفضل، وتقدمهم في ميدان التعليم لاحقاً، شكلت

(١١١) في مسح حديث العهد لأسر البهرة الهنود بلانك، الملا، صـ٢٠٣، توصل المؤلف إلى أن ثلاثة أرباع المشاركين في المسح كانوا من أصحاب الأعمال وأن نسبة صغيرة مقبولة كانوا من أصحاب الياقات البيضاء [موظفين] وعدد أقل كانوا معلمين أو تجاراً يديرون تجارتهم بأيديهم، بينما ذكرت نسبة ٤,٢% أنها تعمل في الصناعة. (انظر أيضا: تاريخ الإسماعيليين.. الاستمرارية والتغيير صـ٤٠١).

(١١٢) للمزيد يمكن الرجوع إلى كتاب رؤية الهلال بين التأويل والظاهر، تأليف: د. عمرو معديكرب الهمداني؛ منشورات مؤسسة الهمداني الثقافية؛ ٢٠١٩م.

عوامل أثارت غيرة وحسد بعض المجموعات الأكثر فقراً والأقل تنظيماً من بين إخوتهم في الدين. فأحد العوامل المهمة في التوتر بين الطوائف كان الوفرة المادية التي تمتع بها البهرة، والتي أثارت، وفقاً للروايات التاريخية، جشع الحكام المسلمين والهندوس من فترة ما قبل الاستقلال، وأدت مُنْذُ ذلك الحين إلى استهداف الممتلكات التجارية كلما وقع عنف طائفي.

وكانت السلطات السياسية تقوم عبر العصور بحماية البهرة واضطهادهم في آن، ولذلك فقد كانت السياسات السياسية للدعاة الهنود تستقي من فهمهم ونظرتهم التقليدية لأنفسهم على أنهم "قوم غريب" وتعني حرفياً" الناس الفقراء"، أو الناس الضعفاء سياسياً وغير القادرين على الدفاع عن أنفسهم، وبكلمات ميسرة "الجماعة المضطهدة والمنهكة".

ومن المفارقة أن البهرة عانوا من تحامل الحكام المسلمين، بينما تمتعوا في المقارنة بحرية من القيود الدينية والاضطهاد في ظل الحكام الهندوس، واستمرت هذه التجربة في هند ما بعد الاستقلال، وبدأ البهرة مُنْذُ القرن العشرين بشكل خاص بدمج أنفسهم، ولو بدرجة محدودة، في الأمة الإسلامية الهندية ثم العالمية. وفي انتخابات ١٩٣٥م الوطنية أيَّد البهرة في بومباي- حيث كان المسلمون يهيمنون على الكتلة الانتخابية- محمد علي جناح من العصبة المسلمة، وشكَّلت مناسبات الاستقبال التي أقامها الداعي للقادة المسلمين الدوليين الزائرين، والدعوة إلى ترميم الأقصى ومؤتمر فلسطين، تأكيد توجه جماعة البهرة باتجاه رابطة عموم المسلمين والتعاطف معهم. وقام الداعي الداؤدي طاهر سيف الدين بتقديم الكسوة أو الأستار الحمراء التي تُعلق داخل الكعبة في العامين ١٩٣١ و١٩٣٧م، وتبرع بقوالب أضرحة مصنوعة بصورة دقيقة من الفضة والذهب لأضرحة الإمام علي (١٩٤٢م)، والإمام الحسين (١٩٣٧م)،

ورأس الحسين في القاهرة (الذي دشن العام ١٩٦٦م)، وشارك الداعي أيضاً في مؤتمرات دولية ذات صلة بالدين. لقد وضع الداعي طاهر سيف الدين مكاناً لجماعة البهرة على الخارطة الوطنية للهند، وبتوجيه منه بدأ البهرة بتحقيق اعتراف وطني كمكون إيجابي من مكونات مجتمع البلاد، وكثيراً ما جرى ومدح وإشادة لجذورهم الدينية القوية، ومبادئ سلوكهم، وفطنتهم في ميدان الأعمال، وانضباطهم ونظرتهم المتسامحة، من قبل الشخصيات العامة البارزة، وارتفع البهرة ليحتلوا مناصب مدنية بارزة، كمنصب "شريف بومباي"، وكبير قضاة المحكمة الهندية العالية، بل وحتى المحكمة العليا. ومُنْذُ منتصف القرن العشرين راحت أعداد كبيرة من البهرة تستقر في الشرق الأوسط والغرب، واكتسبت الدعوة هوية دولية عامة لا سميا خلال زيارات الدعاة إلى مراكز الجماعة الجديدة، حيث حققوا اعترافاً رسمياً بهم في الخارج كرؤساء لجماعة دينية معروفة، فاستقبلوا كضيوف حكومات، ومنحوا تكريماً وتشريفا مدنياً في بلدان عدة(١١٣).

(١١٣) انظر: تاريخ الإسماعيليين الاستمرارية والتغيير لجماعة مسلمة، صـ٣٨٨.

النتائج والخاتمة

توصل الباحث من خلال بحثه إلى عدة نتائج ذات صلة بالمحاور الأساسية للدراسة العامة للآثار المتبادلة للهجرة اليمنية، والمتمثلة في الآتي:

أولاً: الأسباب:

١) تنوعت الأسباب بين طاردة وجاذبة، وكان النصيب الأكبر لهجرة الإسماعيلية هي الأسباب الطاردة المتمثلة في الهجرات غير الطوعية (التهجير القسري).

٢) موقف أئمة الزيدية من الإسماعيلية والاضطهاد الذي مارسوه ضدهم كان من أهم الأسباب السياسية التي نتج عنها تهجير كبير لإسماعيلية اليمن.

٣) الحروب الموجهة ضد الإسماعيلية من قبل الزيدية كانت أحد الأسباب السياسية أيضاً المسببة في تهجير الإسماعيلية للبحث عن الأمان.

٤) الاتهامات الدينية والعقائدية والأخلاقية ضد الإسماعيلية لعبت دوراً مهماً في هجرة الإسماعيلية كسبب رئيسي أيضاً، حيث تم إطلاق الأحكام والفتاوى الدينية ضدهم، وإخراجهم من دائرة الإسلام، وإباحة دمائهم وأعراضهم وفقاً لذلك.

٥) استهداف التراث العلمي للإسماعيلية من خلال حرق مكتباتهم وتدميرها، أدى ذلك إلى مخاوف كبيرة عند الإسماعيلية من فقدان هذا التراث الفكري العظيم، مما أدى بهم إلى نقل ما تبقى من تلك المكتبات إلى خارج اليمن (بلاد المهجر)، وأطلقنا عليه "هجرة المخطوطات".

٦) وللأسباب السالفة الذكر أيضاً، تم نقل مركز الدعوة الإسماعيلية إلى خارج اليمن، سواءً في الهند أو نجران.

ثانياً: أوضاع المهاجرين في بلدان المهجر (الآثار المتبادلة):

١) الانغلاق الذي اعتمدته الإسماعيلية وسيلة للحفاظ على كينونتها في بلدان المهجر.

٢) التركيز على بناء القدرات الذاتية لأبناء الإسماعيلية في مختلف المجالات للوصول إلى الاكتفاء الذاتي.

٣) التكاتف والتعاون المشترك بين أبناء الطائفة أدى إلى خلق فرص عمل أمام جميع أبناء الطائفة الإسماعيلية دون استثناء.

٤) عدم الانخراط في الأعمال السياسية (لأسباب عقائدية)، أدى ذلك إلى المحافظة على بقاء الجماعة الإسماعيلية في استقرار وأمان.

٥) الانفتاح على المجالات الاقتصادية في بلدان المهجر، وبناء سمعة طيبة (نتيجة الارتباط العقائدي والديني) خلق نوعاً من الائتمان والثقة نحو هذه الجماعة اليمنية.

٦) تشجيع الإسماعيلية اليمنيين على زيارة الهند ونجران (من أجل التسجيل في الدراسة بشكل خاص)، وحضور التجمعات والاحتفالات الدينية الخاصة بالجماعة.

٧) السمعة الجيدة التي حظيت بها الجماعة الإسماعيلية في بلدان المهجر ساعدتها على توسيع علاقاتها مع محيطها الخارجي في بلدان المهجر.

٨) التنظيم المؤسسي، خصوصاً لجماعة البهرة، ساعد على توفير حياة أفضل لجميع أبناء الإسماعيلية.

٩) الصراعات التي تعرضت لها الجماعة في بلدان المهجر كانت محدودة ولم تهدف إلى محاولة إبادة الجماعة- كما حدث في اليمن- وكان الهدف منها الضغط السياسي عليها فقط.

١٠) على المستوى الثقافي، نجد تأثير الجماعة الإسماعيلية في بلدان المهجر مهماً ومحورياً؛ حيث ساهمت الإسماعيلية في نشر الإسلام في مناطق تواجدها والعمل على إرساء التراث الإسلامي فيها.

١١) كان لهجرة العقول الإسماعيلية اليمنية تأثير كبير في بلدان المهجر، وقد برزت تلك الشخصيات في عدة محافل دولية وإقليمية، واعتبارهم رواداً لحركة التنوير في العالم.

١٢) كان لنقل المخطوطات الإسماعيلية الأثر البالغ في استفادة دول المهجر ومؤسساتها العلمية من الكثير من تلك المخطوطات المهمة والنادرة، حيث قام المفكرون من أبناء الإسماعيلية اليمنيين بإهداء مجموعات من تلك المخطوطات إلى المؤسسات العلمية المختلفة، وإمداد المفكرين والمستشرقين بتلك الكنوز الفكرية المهمة.

١٣) يتضح لنا التأثير المتبادل لهجرات الإسماعيلية اليمنية من خلال نقل العديد من العادات والتقاليد من الهند إلى اليمن، كاللباس، والممارسات الدينية التي تعد حالياً مظهراً أساسياً لأبناء الطائفة الإسماعيلية، خصوصاً البهرة منهم.

١٤) كما أن التأثير المتبادل يتضح جلياً من خلال الأنشطة الاقتصادية التي يمارسها الإسماعيلية في اليمن من خلال خلق فرص عمل، والاعتماد على الأنشطة الاقتصادية الصغيرة في مختلف المجالات.

١٥) أخيراً، يتضح لنا تأثر أبناء الإسماعيلية بمواطن المهجر من خلال تخليهم عن عادة مهمة في اليمن، وهي عادة مضغ القات وزراعته، حيث يشتهر أبناء الإسماعيلية كافة في اليمن بعدم تناولهم شجرة القات اللعينة، واهتمامهم الكبير بزراعة شجرة البن الأصيلة.

ثالثاً: الخاتمة:

من خلال الدراسة يتضح لنا الدور الحيوي المهم للإسماعيلية اليمنية في بلدان المهجر، والتأثير الكبير لهم في مناطق هجراتهم المتعددة من نواحٍ عدة، سياسية، واجتماعية، وثقافية، واقتصادية، وأيضاً المؤثرات الخارجية التي ساهمت في صياغة تلك المتغيرات، والمتمثلة في الاضطهاد والممارسات التعسفية التي عانت منها الجماعات اليمنية، أو من خلال حالات الاستقرار النسبي التي تمتعت بها الجماعة الإسماعيلية في فترات مختلفة، وهذا ساهم في ازدهار مشاركتها السياسية، وتطورها المعرفي والعلمي، وأيضاً الانطلاق في عالم التجارة والاقتصاد العالميين.

وقد كان للممارسات اللاإنسانية للأئمة الزيديين ضد الجماعة الإسماعيلية نتائج منها التهجير، والإبادة الجماعية، وحرق مكتبات ومساجد الإسماعيليين في شتى بقاع السعيدة، واستمر هذا الوضع لعقود وأزمنة طويلة دون توقف من الزيديين حتى يومنا هذا، ومن الأمثلة المؤكدة في استمرار تلك الممارسات منع الكتب الخاصة بالطائفة الإسماعيلية عن الباحثين والمهتمين، والموجودة في مكتبة دار المخطوطات اليمني، ومكتبة الجامع الكبير المقدس[١١٤]، إضافة إلى تلك الممارسات التعسفية ضد أتباع المذهب الإسماعيلي نتيجة اختلافهم في مواقيت التعبدات كالصوم والإفطار الذي يعتمد فيه الإسماعيلية على محددات وعلى أساليب حداثية، وأهمها الاعتماد على الحساب في صوم شهر رمضان

(١١٤) قامت مؤسسة الهمداني الثقافية بمحاولات عديدة للحصول على نسخ (صورة رقمية) من الكتب الإسماعيلية في دار المخطوطات للعمل عليها وتحقيقها تحقيقاً علمياً رصيناً، وللأسف باءت جميع جهودها بالفشل، حيث صرَّح المسؤولون بأن هذه الكتب ممنوعة ومحرزة بأمر من إمام اليمن يحيى حميد الدين، وهذه الأوامر ماضية حتى يومنا هذا!!.

والخروج منه، وهذا أدى إلى إصدار الأحكام ضدهم، ومهاجمة دور عبادتهم من قبل الزيديين[١١٥].

وفي الختام نرى أن الإسماعيلية لو أُتيحت لهم الفرصة والانفتاح، لكان تأثيرهم عظيماً على مستوى الداخل اليمني، وسيكون لهم الإنجاز العظيم في إحداث قفزة نوعية للمجتمع اليمني في مجالات العلم والاقتصاد والإدارة، وهو ما لمسناه من خلال بحثنا الحالي وتأثيرهم في مناطق تواجدهم حالياً. كما تتضح لنا أهمية البعد السياسي وانتهاج الطائفة الإسماعيلية الابتعاد عنه بصورة مُطلقة، وعدم الاكتراث بنتائجه، فجُلُّ اهتمامهم هو المجتمع والعمل على تطويره وبنائه البنية الإنسانية القائمة على التنظيم والتعاون بين الأفراد، برسالة مفادها أن التسامح الديني هو الأساس في بناء المجتمعات. ونأمل من الباحثين في المستقبل القريب أن يتم الاهتمام بدراسات خاصة ومتخصصة لدراسة حالة الجماعة الإسماعيلية للاستفادة من تلك التجارب على واقعنا الحالي في اليمن، والعمل على تطوير المجتمع اليمني والخروج به إلى آفاق واسعة وتطور أكثر. كما تجدر الإشارة إلى أهمية التوسع في ضم سير أعلام إسماعيلية اليمن في المهجر ضمن الموسوعة المرتقبة لأهمية الأدوار التي تتصدرها إسماعيلية اليمن في كافة المجالات.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

---

(١١٥) من ذلك ما حدث في عيد الفطر لعام ١٤٤٠ هجرية، حيث قامت كتيبة بمهاجمة مسجد البهرة في منطقة نقم، وتم سجن أكثر من ٢٧ شخصاً من الإسماعيلية على خلفية احتفالهم بعيد الفطر قبل إعلان حكومة صنعاء بذلك بيوم واحد.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر والمراجع الفاطمية

(١) الأنف، إدريس عماد الدين بن الحسن [ت٨٧٢هـ]:

- عيون الأخبار وفنون الآثار، تحقيق: د. أيمن فؤاد سيد، [السبع السابع]، إصدارات معهد الدراسات الإسماعيلية-لندن.
- برهانبوري، سليمان جي، منتزع الأخبار في أخبار الدعاة الأخيار، مخطوط بخزانة الدار المحمدية الهمدانية، [١-٢]، نشرتها مؤسسة الهمداني الثقافية ضمن سلسلة الإصدارات الكمبيوترية للمخطوطات الفاطمية، الإصدارين (٤١، ٤٢).

(٢) الحامدي، إبراهيم بن الحسين [ت٥٥٧هـ]:

- كتاب الابتداء والانتهاء، تحقيق: د. عمرو معديكرب الهمداني (ضمن مجموع مؤلفات إبراهيم بن الحسين الحامدي[١])، إصدارات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، صنعاء- اليمن.
- الرسالة الشريفة في المعاني الطاهرة الطريفة، تحقيق: د. عمرو معديكرب الهمداني (ضمن مجموع مؤلفات إبراهيم بن الحسين الحامدي[١])، إصدارات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، صنعاء- اليمن.

(٣) الحامدي، حاتم بن إبراهيم [ت٥٩٦ هـ]:

- المجالس الحاتمية الصغيرة (مجالس الامتحان)، تحقيق: د. عمرو بن معديكرب الهمداني، منشورات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، صنعاء، تحت الطبع.

- تنبيه الغافلين، تحقيق: د. عمرو بن معديكرب الهمداني، منشورات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، صنعاء- اليمن، ط١، ٢٠١٢م.

(٤) الحجوري، الخطاب بن الحسن [ت ٥٣٣هـ]:

- ديوان الخطاب، نشره: إسماعيل قربان حسين، ضمن كتاب السلطان الخطاب حياته وشعره، دار المعارف، مصر.
- رسالة في بيان إعجاز القرآن، تحقيق وتقديم: د. عمرو معديكرب الهمداني، (ضمن مجموع مؤلفات الخطاب[١])، إصدارات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، صنعاء- اليمن، ط١، ٢٠١٧.
- رسالة النفس، تحقيق وتقديم: د. عمرو معديكرب الهمداني، (ضمن مجموع مؤلفات الخطاب[١])، إصدارات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، صنعاء- اليمن، ط١، ٢٠١٧.
- رسالة غاية المواليد، تحقيق وتقديم: د. عمرو معديكرب الهمداني، (ضمن مجموع مؤلفات الخطاب[١])، إصدارات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، صنعاء- اليمن، ط١، ٢٠١٧.
- منيرة البصائر، تحقيق وتقديم: د. عمرو معديكرب الهمداني، (ضمن مجموع مؤلفات الخطاب[١])، إصدارات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، صنعاء- اليمن، ط١، ٢٠١٧.
- رسالة النعيم، تحقيق وتقديم: د.عمرو معديكرب الهمداني، (ضمن مجموع مؤلفات الخطاب[١])، إصدارات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، صنعاء- اليمن، ط١، ٢٠١٧.

(٥) دفتري، فرهاد:

- الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم؛ ترجمة: سيف الدين القصير؛ دار الساقي بالاشتراك مع معهد الدراسات الإسماعيلية؛ ط١/٢٠١٢م.
- تاريخ الإسماعيليين الحديث - الاستمرارية والتغيير لجماعة مُسلمة؛ ترجمة: سيف الدين القصير؛ دار الساقي بالاشتراك مع معهد الدراسات الإسماعيلية؛ بيروت – لبنان؛ ط١؛ ٢٠١٣م.

الرازي، أحمد بن حمدان الليثي الورستاني (أبو حاتم) [ت٣٢٣هـ]:

- الزينة في الكلمات العربية الإسلامية، عارضه وعلق عليه: حسين فيض الله الهمداني، [١-٢]، إصدارات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، ط٣، ٢٠٢٠م.
- سليمان، محمد بن عبدالله؛ جلاء أفكار الأخيار؛ مخطوط بخزانة الدار المحمدية الهمدانية.

(٦) الشيرازي، هبة الله بن موسى بن عمران "المؤيد في الدين" [ت٤٧٠هـ]:

- ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة، تقديم وتحقيق: محمد كامل حسين، دار الكاتب المصري، القاهرة، ط١، ١٩٤٩م.
- المجالس المؤيدية "المائة الأولى"، مخطوط بخزانة الدار المحمدية الهمدانية، نشرتها مؤسسة الهمداني الثقافية ضمن سلسلة الإصدارات الكمبيوترية للمخطوطات الفاطمية، الإصدار (٥١).
- المجالس المؤيدية "المائة الثانية"، مخطوط بخزانة الدار المحمدية الهمدانية، نشرتها مؤسسة الهمداني الثقافية ضمن سلسلة الإصدارات الكمبيوترية للمخطوطات الفاطمية، الإصدار (٥٢).

- المجالس المؤيدية "المائة الثالثة"، مخطوط بخزانة الدار المحمدية الهمدانية، نشرتها مؤسسة الهمداني الثقافية ضمن سلسلة الإصدارات الكمبيوترية للمخطوطات الفاطمية، الإصدار (٥٣).
- المجالس المؤيدية "المائة الرابعة"، مخطوط بخزانة الدار المحمدية الهمدانية، نشرتها مؤسسة الهمداني الثقافية ضمن سلسلة الإصدارات الكمبيوترية للمخطوطات الفاطمية، الإصدار (٥٤).
- المجالس المؤيدية "المائة الخامسة"، مخطوط بخزانة الدار المحمدية الهمدانية، نشرتها مؤسسة الهمداني الثقافية ضمن سلسلة الإصدارات الكمبيوترية للمخطوطات الفاطمية، الإصدار (٥٥).
- المجالس المؤيدية "المائة السادسة"، مخطوط بخزانة الدار المحمدية الهمدانية، نشرتها مؤسسة الهمداني الثقافية ضمن سلسلة الإصدارات الكمبيوترية للمخطوطات الفاطمية، الإصدار (٥٦).
- صحيفة الصلاة والعبادات (الداؤدية) [١-٤]، مخطوط بخزانة الدار المحمدية الهمدانية.
- صحيفة الصلاة (السليمانية) [١-٣]، مخطوط بخزانة الدار المحمدية الهمدانية، نشرتها مؤسسة الهمداني الثقافية ضمن مشروع توريث صحيفة الصلاة.

(٧) آل عُمي، عبدالله حمد؛ أحداث السنة الفاطمية؛ منشورات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، (تحت الطبع)؛ صنعاء- اليمن.

(٨) الكرماني، أحمد حميد الدين [ت٤١١هـ]:

- راحة العقل، تحقيق وتقديم: د. مصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

- كتاب الرياض؛ مخطوط بخزانة الدار المحمدية الهمدانية، نشرتها مؤسسة الهمداني الثقافية ضمن سلسلة الإصدارات الكمبيوترية للمخطوطات الفاطمية الإصدار (١٧٥).

(٩) الهمداني، حسين بن فيض الله [ت١٩٦٢م]:

- الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن (من سنة ٢٦٨هـ إلى سنة ٦٢٦هـ)، إصدارات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث– صنعاء- اليمن، ط٥، ٢٠٠٩م.
- بحث تاريخي في رسائل إخوان الصفاء وعقائد الإسماعيلية فيها، إصدارات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، صنعاء- اليمن، ط٢، ٢٠١٠م.
- On the Genealogy of the Fatimid Caliphs. Cairo: American University of Cairo، School for Oriental Studies، 1958.

(١٠) الهمداني، الذؤيب بن موسى الوادعي [ت ٥٤٦هـ]:

- رسالة النفس، تحقيق وتقديم: د. عمرو معديكرب الهمداني وآخرون، ضمن مجموع رسائل الذؤيب بن موسى الوادعي، إصدارات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، صنعاء- اليمن، ط١، ٢٠١٤.
- رسالة الدرج، تحقيق وتقديم: د. عمرو معديكرب الهمداني وآخرون، ضمن مجموع رسائل الذؤيب بن موسى الوادعي، إصدارات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، صنعاء- اليمن، ط١، ٢٠١٤.

(١١) الهمداني، عمرو معديكرب:

- العلامة حسين بن فيض الله الهمداني (١٩٠١- ١٩٦٢م) حياته وفكره ونضاله، إصدارات الهيئة العامة للكتاب، صنعاء- اليمن، ط١، ٢٠١٤م.

- الإسماعيليون في اليمن والجزيرة العربية وأزمة المواطنة؛ منشورات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث؛ صنعاء- اليمن؛ ط١؛ ٢٠١٧م.
- نبذة عن حياة البروفيسور عباس الهمداني؛ منشورات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، صنعاء-اليمن.

(١٢) المغربي، القاضي النعمان بن محمد [ت٣٦٣هـ]:

- الأخبار في الفقه، تحقيق: د. عمرو معديكرب الهمداني، [١]، إصدارات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، (تحت الطبع) صنعاء- اليمن.
- افتتاح الدعوة، مخطوط بخزانة الدار المحمدية الهمدانية، نشرتها مؤسسة الهمداني الثقافية ضمن سلسلة الإصدارات الكمبيوترية للمخطوطات الفاطمية، الإصدار (٧٠).
- تأويل الدعائم، مخطوط بخزانة الدار المحمدية الهمدانية، نشرتها مؤسسة الهمداني الثقافية ضمن سلسلة الإصدارات الكمبيوترية للمخطوطات الفاطمية، الإصدار (٣٧).
- دعائم الإسلام، تحقيق: آصف أصغر فيضي، [١-٢]، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣-١٩٦٤.
- الهمة في آداب اتباع الأئمة، مخطوط بخزانة الدار المحمدية الهمدانية، نشرتها مؤسسة الهمداني الثقافية ضمن سلسلة الإصدارات الكمبيوترية للمخطوطات الفاطمية، الإصدار (٧٢).

- المجالس والمسايرات، مخطوط بخزانة الدار المحمدية الهمدانية، نشرتها مؤسسة الهمداني الثقافية ضمن سلسلة الإصدارات الكمبيوترية للمخطوطات الفاطمية، الإصدار (٣٤).

(١٣) منصور اليمن، جعفر [ت ٣٨٠هـ]:

- فرائض وحدود الدين، مخطوط بخزانة الدار المحمدية الهمدانية.

الوليد، علي بن محمد [ت ٦١٢ هـ]:

- ديوان علي بن محمد بن الوليد، تحقيق: د. عمرو معديكرب الهمداني، إصدارات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، (تحت الطبع) صنعاء- اليمن.

- ABBAS AL-HAMDANI. Al-hamdani the outset of the domination of the Hamdan over Yemen

- فعاليات مؤتمر الحق في المواطنة المتساوية (الإسماعيليون في اليمن أنموذجاً) المنعقد بتاريخ ٧- ٨ / إبريل/ ٢٠١٢م، إصدارات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث– صنعاء- اليمن، ط١، ٢٠١٢م.

- FRANCOIS DE BLOIS ،Arabic، Persian and Gujarati MANUSCRIPTS، The Hamdani Collection ،I.B.Tauris Publishers ، LONDON.NEW YORK.

- موقع إلكتروني: http://dmhsr.blogspot.com/

- موقع إلكتروني: www.alavibohra.com/

(١٤) ويكيبيديا، الموسوعة الحرة:

- الطيب بن الآمر، موقع إلكتروني.

- المستنصر بالله، موقع إلكتروني.

- محافظة القنفذة، موقع إلكتروني.

المصادر والمراجع العامة

- الأعظمي، محمد حسن (ضمن كتاب الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية)، طبع الهيئة العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠م.
- الإرياني، مطهر علي، مقابلة تلفزيونية، برنامج وتلك الأيام، تلفزيون اليمنية الفضائية، تاريخ ٢٠١٠/٢/١٤م.
- الألوسي، أبي المعالي محمود شكري؛ غاية الأماني في الرد على النبهاني؛ نشره عبدالعزيز ومحمد العبدالله الجميع؛ مكتبة نور الإلكترونية، ٢٠٠٧م.
- الأهنومي، حسن بن حسين الروسي؛ البراهين المضيئة في السيرة المنصورية؛ مؤسسة الإمام زيد بن علي؛ اليمن.
- ابن ميسر، محمد بن علي بن يوسف بن جلب (ت٦٧٧)؛ تاريخ مصر؛ طبعة هنري ماسيه؛ القاهرة، ١٩١٩م.
- التميمي، ضياء خضر جاسم؛ بنو الوليد وأثرهم بالدعوة الطيبية في اليمن؛ رسالة ماجستير؛ جامعة بغداد؛ ٢٠١٧م.
- الجاسر، أحمد؛ مجلة العرب؛ عدد الربيعان لعام ١٤١٥م.
- جحاف، لطف الله بن أحمد؛ درر نحور الحور العين بسيرة الإمام المنصور علي وأعلام دولته اليامين؛ تحقيق: إبراهيم بن أحمد المقحفي؛ مكتبة الإرشاد؛ اليمن.
- الجهاز المركزي للإحصاء، كتاب الإحصاء السكاني للجمهورية اليمنية لعام ٢٠٠٤م.
- الجهاز المركزي للإحصاء بالجمهورية اليمنية؛ الدليل الشامل- محافظة صنعاء، www.yemenna.com، مديرية همدان. الحميري، أبو سعيد بن سعيد (ت٥٧٣) – نشوان؛ الحور العين؛ القاهرة ١٩٤٨م

- الحبشي، عبدالله محمد؛ حوليات يمانية.. اليمن في القرن التاسع عشر الميلادي؛ دار الحكمة اليمانية؛ صنعاء- اليمن؛ ١٩٩١م.
- حمزة، فؤاد؛ قلب جزيرة العرب؛ مكتبة النصر الحديثة؛ الرياض؛ ١٩٣٣م
- حمزة، فؤاد؛ في بلاد عسير؛ مكتبة النصر الحديثة؛ الرياض؛ ط٢؛١٩٦٨م.
- الدوسري، شعيب بن عبدالحميد بن سالم؛ إمتاع السامر بتكملة متعة الناظر؛ مطبعة الحلبي- القاهرة؛ ١٣٦٥هـ.
- الريكي، حسن بن جمال بن أحمد؛ لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب؛ دار الملك عبدالعزيز؛ الرياض- السعودية.
- زين العابدين، إبراهيم بن علي؛ تاريخ عسير رؤية تاريخية خلال خمسة قرون؛ تحقيق وتعليق: محمد مسلط بن عيسى الوصال البشري؛ دار الإيمان؛ الرباط؛ ط٥؛ ١٩٩٢م.
- سادلير، ج. فورستر؛ رحلة عبر الجزيرة العربية، من القطيف في الخليج "العربي" إلى ينبع على البحر الأحمر خلال عام ١٨١٩؛ بومباي؛ طبع في مطبعة الثقافة الاجتماعية في بايكولا؛ ١٨٦٦م.
- السبحاني، جعفر، بحوث في الملل والنحل، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم المشرّفة، ط٦، ١٤١٧ هـ.
- شرف الدين، عيسى بن لطف الله؛ روح الروح في ما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح؛ تحقيق: إبراهيم بن أحمد المقحفي؛ بدون ت.
- الشوكاني، محمد بن علي؛ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع؛ دار الكتاب الإسلامي؛ القاهرة.
- العمري، حسين عبدالله؛ مائة عام من تاريخ اليمن الحديث؛ دار الفكر المعاصر؛ اليمن.

- العمراني، محمد بن علي؛ إتحاف النبيه بتاريخ القاسم وبنيه؛ مخطوط بخزانة الدار المحمدية الهمدانية.
- فليبي، هاري سانت جون (الشيخ عبدالله)؛ مرتفعات الجزيرة العربية؛ ترجمه وعلق عليه؛ د. غبتان بن علي الجريس؛ مكتبة الحسكة.
- الكربلائي، حيدر محمد عبدالله؛ الداعي الإسماعيلي المؤيد في الدين الشيرازي ودوره السياسي والفكري والعقائدي في الدولة الفاطمية (٣٩٠-٤٧٠هـ/ ٩٩٩-١٠٧٧م)؛ جامعة بغداد؛ كلية الآداب؛ رسالة دكتوراه؛ ٢٠١١م.
- المعافري، أبي محمد عبدالملك بن هشام الحميري (ت٢١٣)؛ السيرة النبوية في ثلاثة أجزاء؛ تحقيق: وليد بن محمد بن سلامه وخالد بن محمد بن عثمان؛ مكتبة الصفا.
- المقحفي، إبراهيم أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، [١-٢]، دار الكلمة للنشر والتوزيع، صنعاء- الجمهورية اليمنية، ٢٠٠٢م.
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي [ت٨٤٥هـ]، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء [١-٣]، تحقيق: جمال الدين الشيال، ومحمد حلمي محمد أحمد، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٦٧-١٩٧٣م.
- معجم قاموس المعاني؛ موقع إلكتروني؛ تأسس عام ٢٠١٠م.
- الموسم؛ مجلة فصلية مصورة تعنى بالتراث والآثار تصدر في هولندا؛ العددان ٤٣؛ ٤٤؛ ١٩٩٩م.
- نوح، علي؛ الإسماعيلية بين خصومها وأنصارها؛ دار التوحيدي للنشر؛ سوريا؛ ط١؛ ٢٠٠٠م

- نوفل، حمود زايد، إسماعيلية اليمن السليمانية "المكارمة"، دار النشر للجامعات، صنعاء- اليمن، ط١، ٢٠١١م.
- هالم، هاينز؛ الفاطميون وتقاليدهم في التعليم؛ دار المدى للطباعة والنشر والتوزيع؛ ١٩٩٩م.